كتاب

رفيق الدهر

« تأليف »

(امين محمد البطاوى)

بنيابة طنطا

obeikandl.com

كتاب

رياض الأطفال

« تأليف »

(امين محمد البطاوى)

بنيابة طنطا

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مقدمة المؤلف ﴾

حمدا لمن دبر الأكوان بحكمته وأدار الأفلاك بمحض قدرته على وفق إرادته وصرف الامور بمشيئته لاتغيره الدهور بل بيده تعالى تصاريف الامور يعفو عن الزلات ويضاعف الحسنات فله الشكر على ماأنعم إذ علم الانسان مالم يعلم منحه العقل والبيان وجعله المسيطر على كل حيوان وبنور العقل هداه الى سبل الرشاد وكفله أن يقتفي في أقواله وأعماله الاعتدال والسداد فمن غلب عقله هواه نال في الدارين مايهواه ومن افترسته القوى الحيوانية وتغلبت على منحة العقل الآلهية هوى في السحق وضل الطريق أعاذنا الله من كل ضيق ومن علينا بأرفق رفيق وصلاة وسلاما على سيدنا محمد القائل أدبني ربي فأحسن تأديبي فهو شفيعي وملجأي وطبيبي من صدع بأمر الله كل جبار عنيد وتحمل في اعلاء كلمة التوحيد كل خطب شديد وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآله وأصحابه والتابعين

﴿ أما بعد ﴾ فأقول وأنا الراجي غفر المساوي أمين محمد البطاوي انى لما نظرت وسائل التربية النافعة وجدتها شجرة بامتفرّعة إلا أنها لاتجني ثمارها الشهية ولاتقطف زهورها الزكية إلا اذا كان القائم بغرسهما اباء حكماء ليكونوا قدوة للأبناء وأمهات حكيمات لايمنن إلا الى النصائح والارشادات

ولذا عنيت بوضع هذا الكتاب المسمى بتصاريف الدهور أرجو به الرّضا من رحمان غفور و رتبته سلسلة نسبية ليست خيالية بل وصفية تاريخية أدبية أشرح فيها تاريخ المنصور بن عبدالله فأقول

***

المنصور بن عبدالله رجل تاجر من الاغنياء الاكابر مطيع لربه الرحيم متمسك بدينه القويم محسن الى الضعاف والفقراء مجتنب للقبائح والاهواء يقضي نهاره في البيع والشراء ويعود الى منزله اذا أقبل المساء ولا يختلط بأحد من الافراد خوفا من أن يسلك معه طريق الغيّ والفساد ولا يجتمع بفرد إلا اذا كان لشئ منه طالبا أو لحاجة منه راغبا أو للاستفسار منه عن مسألة تفيده أو شئ يريده كأنه حافظ قول الاديب والشاعر النجيب

(لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهذيان من قيل وقال)

(فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال)

وقد عاش هذا الرجل من العمر عتيا وكان بارّا سخيا وكريما تقيا ان حضر له ضيف أكرمه أو مسكين أطعمه أو عار كساه أو مريض داواه ولا تلهيه الزخارف عن بث النصائح والمعارف ففتح الله له أبواب فضله وكرمه وأغدق عليه سوابغ نعمه فصار يزداد طاعة لمولاه ويحمده كثيرا على ما أعطاه وأولاه وبالجملة فقد كانت أخلاقه حميدة وآراؤه مفيدة سديدة ولكنه في يوم انحرفت صحته وذبلت زهرته فقلت راحته وفقدت قوّته فلازم الرقاد وصحب السهاد وصار يئن ويجزع ومن شدّة المرض يفزع حتى انه تحقق له مفارقة حياته فصار خائفا من دنو وفاته لما يتوهمه من كثرة سيئاته وقلة حسناته وبعدها فوّض الامر والتدبير لمولانا العليّ الكبير وقال مؤملا في ربه الكريم التوّاب الرّحيم ذي العطاء الباهر والخير الغزير الوافر

قدمت عليك يارب البرايا فآمن روعتي يوم القدوم
واني لا أخاف ولي ذنوب قدمت بها على الملك العظيم
وماقدّمت بين يديّ زادا ولكني قدمت على كريم

ثم أخذ يعالج نفسه بالدواء ويعرض حالته على الاطباء وهم يسلبون منه الدراهم ولم يشفوه بالمراهم ويعطون له الدواء فلا ينجع وهو للأموال يبذل ويدفع وأخيرا سلم الامور الى ربه الغفور ولجأ الى بابه بالدعاء أن يلبسه ثياب العافية والشفاء وترك الدواء والاطباء ولازم الدعاء لخالق السماء فشفاه الله مما ابتلاه ورزقه العافية من فضله ورضاه وصار في صحة قوية وحالة مرضية فعاده أحد الاطباء ثانية وقال له عندي علاج يشفيك في أيام ثمانية فأجابه الرجل بطلاقة اللسان وقوة الجنان أنا يا سيدي الآن لا أعتمد إلا على الرحمن مقتديا بالقائل المفضال الذي أنشد وقال

طبيب قال لي عندي دواء فقلت دواء علتي الدعاء
أنا رجل أرى الامراض طرا محركها وجالبها القضاء
فطورا بعدها موت وطورا باذن الله يعقبها الشفاء

فأجابه الطبيب بلين الكلام قائلا أراك أيها البطل الهمام انك لم تقل ماقلت ولم تتفوه بما تلفظت إلا بعد أن شفيت وقويت وعوفيت ولكن أنا أتمنى لك الصحة والعافية والعز والرفاهية وأحمد الله الذي شفاك ومن هذا المرض أنقذك ونجاك واعلم بأني في خدمتك رهين اشارتك باذل جهدي في راحتك وأسير فضلك وكرامتك

فشكره التاجر على هذه الاقوال وحسن ما أبداه من الفعال وأنعم عليه بدراهم معدودات فأخذها وشكره على هذه الصلات وبعد أن انصرف الطبيب تذكر قول القائل الاديب

(ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الربح فيما فيه خسران)

(عليك بالنفس فاستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم انسان)

***

ثم انه بعد ان أفاق من هذه الشدة ضجر وسئم من انفراده بالوحدة فقام ومكث على شاطئ نهر ليفرّج همه ويزيل ما به من الكدر فتذكر ما قاساه من أنواع المرض والسقم وما مضى من أيام حياته ما بين السرور والنقم وصار يتذكر كل ما فات من الاحزان والمسرّات حتى سالت منه الدموع والعبرات وتصعد بالزفرات يتذكر لذيذ الدنيا ونعيمها والنار وجحيمها والجدث الذى هو قادم عليه وسيضمه لجنبيه فقلّت قيمة الدنيا عنده فأراح بعد ذلك فكره وبدنه وتفوّه بما قاله الشاعر

(سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم)

(وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عم)

وصار يتفكر ويتذكر ثم يؤنب نفسه ويتضجر وقد تقسمته الهموم والاحزان وتشعبته الهموم والاشجان ففاه بقول القائل من منهوك الكامل

(ما حيلتى ما حيلتى والسيئات ذخيرتى)

(واحيرتى واحيرتى فى يوم نشر صحيفتى)

(وقراءتى لصغيرتى وقراءتى لكبيرتى)

(إنى مرضت من الذنوب فمن يداوى علتى)

(لكن رجائى قوله لاتقنطوا من رحمتى)

***

وكان هذا الرجل لم يرزق من الدنيا بأولاد فتضاعف عليه الحزن لشماتة الاعداء والاضداد وخاف أن تدركه المنية وليس له ذرّية فازدادت حسراته وتساقطت عبراته خشية على ضياع ثروته وتشتت نعمته وصار يدعو الله بأن يبلغه ما يتمناه ويرزقه بغلام صالح تقضى على يديه جميع المصالح ليترك له

الاموال والتجاره فينشر اسمه ويحيي آثاره ويذكر الله من بعده قبل أن تمحى صحيفة رسمه وجسده ويطوى الموت بساط أجله بدون بلوغ رغبته وأمله وصبر حتى أتاه الله بالفرج ورزقه الكريم من غير ضيق ولا حرج بغلام سماه سليمان فقرّت به العينان ولما كبر أخذه أبوه ليربيه وصار يدعو الله لولده أن يبقيه ومن كل سوء يقيه ويكفيه شرّ من يؤذيه حتى قبل أفول شمس حياته ودنو وفاته وشق بصره ونزول حمامه وقدره أوصى ابنه فقال وهو في منتهى الآجال

ياولدى

ذهب الشباب فما له من عودة ... وأتى المشيب فأين منه المهرب

والليل فاعلم والنهار كلاهما ... أنفاسنا فيه تعدّ وتحسب

فالدنيا ياولدى هى دار الرحيل والبقاء فيها مستحيل

فأطع أباك بكل ما يوصى به ... ان المطيع أباه لا يتضعضع

الدنيا هى دار المكاره والاحزان يعيش الانسان فيها وهو سكران دار كلها هموم وبلاء محاطة بالذل والشقاء

فياولدى انى جرّبت حقائق الامور وبلوت تصاريف الدهور فاحذ مثالى وافقه أمثالى واتبع ما أشير لك به واسع بكل جهدك فى طلبه تحظ منى بالدعاء وتطب أوقاتك بالهناء فاحفظ وصيتى وجانب معصيتى

ياولدى انى أوصيك بتقوى الله والاعتماد عليه والارتكان فى كل الامور اليه

فعليك تقوى الله فالزمها تسد ... ان التقى فى الاتجار المكسب

واعمل بطاعته تنل منه الرضا ... ان المطيع لربه لمقرّب

ياولدى اترك المعاصى وما يكدر الناس وابتعد عن الشوائب والأدناس ولا تتبع هواك مادمت حيا فى دنياك فمن اتبع هواه محقه وأهواه واجتنب

الاشرار واسلك طريق الابرار واختر صديقك واصطفيه ولاتأمن عدوك ولاتزدريه واحفظ أموالك واتقن أعمالك وحسن أقوالك وفعالك فتدرك بغيتك وآمالك وتصلح أحوالك ويرتاح بالك واحرص على مافى يدك كى ينفعك فى مستقبلك واتق أيضا دعوة المظلوم وأطع مولاك الحىّ القيوم وراع حق اليتيم وتصدّق على المسكين السقيم وصل من قطعك وارحم من لجأ اليك وقصدك

فلقد نصحتك ان قبلت نصيحتى ... فالنصح أغلى مايباع ويوهب
حكم وآداب أجل مواعظا ... أمثالها لذوى البصائر تكتب

وعند ماتنفس الصعداء وقبل أن يحل به الفناء قال لولده وفلذة كبده وهو يجود بنفسه للحاول فى رمسه ياولدى

من يتق الله يحمد فى عواقبه ... ويكفه شرّ من عزوا ومن هانوا

ياولدى اصغ لكلامى وسجل فى فكرك أرقامى

واسمع هديت نصائحا أولاكها ... برٌّ نصوح للأنام مجرّب
لا تأمن الدهر الخؤون فانه ... ما زال قدما للرجال يهذّب
وكذلك الأيام فى حالاتها ... مضض يزل له الأعز الأنجب

فهاقد نصحتك وبمواعظى زوّدتك

فافهم بدائع أقوال مهذّبة ... تزهو كشمس الضحى فى دارة الحمل

ومالبث بضع دقائق حتى قضى نحبه ولقى ربه

***

فغسله ابنه وأحضر له الكفن اللائق ثم سار فى جنازته وهو فى لجج الافكار غارق وبعدان أدخله الرمس صار يبكى حتى كادت تختنق منه النفس ولكنه تجلد وهو محروق القلب والكبد ونصب الخيم وأحضر الفراشين والخدم وبعدان انفضّ المأتم ونفذ القضاء المبرم وقعت عينه على

كتاب بخط والده المرحوم ومذيلا بخاتمه المبصوم موضوعا على سريره فأخذه من يعينه على تعبيره حيث لا عقل فيه لموت أبيه فاذا هو مكتوب فيه

(قدّم لنفسك فى الحياة تزوّدا فلقد تفارقها وأنت مودع)
(واهتم للسفر القريب فانه أنأى من السفر البعيد وأشنع)
(واجعل تزوّدك المخافة والتقى فلعلّ حتفك فى مسائك أسرع)

فبكى بكاء شديدا وجدّده تجديدا وصارت الاهالى تحضر اليه وتعزيه وكل لابس ثوب الحداد ومرتديه فكان منهم من يردّد قول الشاعر النبيل وهو فى صراخ وعويل

(رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم)
(ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وان يرق أسباب السماء بسلم)

وصارت أيضا ترد اليه الرسائل والاشارات البرقية والمحررات التليفونية وفيها من كان كاتبا قول الشاعر من بحر الوافر

(ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء)
(وأرض الله واسعة ولكن اذا نزل القضا ضاق الفضاء)
(دع الايام تغدر كل حين ولا يغنى عن الموت الدواء)

فتجلد بالصبر وتجرّع كاسه بعد ما هبطت أنفاسه وتصوحت زهرته وتغيرت بهجته واعتبر أخيرا بقول القائل من منهوك الكامل

(والروح فيك وديعة أودعتها ستردّها بالرغم عنك وتسلب)

***

وبعد أن بلغ سليمان من العمر أشده ومضت على وفاة أبيه مدة اجتمع به من كانوا للأموال خادمين وصاروا به مرحبين معززين فجالسهم وجالسوه وآنسهم فحيوه وبجلوه وأكرمهم فعظموه ووقروه وبلين الكلام حدثوه وخاطبوه وصاروا يأكلون معه كل مالذ وطاب ويزيدون له فى المدح

والاطناب وسليمان يصرف عليهم ثمن المأكل والثمار وهم ينشدون له الاشعار

لاتحرصن فالحرص ليس بزائد في الرزق بل يشقي الحريص ويتعب

وكلما يقتصد في شئ يقولون وهو يظن بأنهم له ناصحون

(وجانب الحرص والأطماع تحظ بما ترجو من العز والتأييد في عجل)

واعلم أيها الشهم الهمام والبطل الضرغام انه قد قالت الحكماء العقلاء النبلاء (المال لاينفعك مالم يفارقك) فكان اذا فرغ ما في جيبه يملأوه من الذهب الرنان ولا يشعر بما هو فيه من الهذيان

﴿ من جاد بالمال مال الناس قاطبة اليه والمال للانسان فتان ﴾

وصار يبدد ذات اليمين وذات الشمال حتى انتهت فسجان الباقي بلا زوال ثم صار يبيع في ممتلكات أبيه ولا يلتفت الى أهله وذويه ويبدّد في ثروته لدوام مودّته

حتى في يوم حضر اليه جابي الخراج وحذره عواقب الاسراف والاعوجاج حيث لم يبق له خلاف المنزل الذي هو فيه وليس غيره يؤويه فلم يبال بذلك ولا يعرف ما هنالك ثم قال له دعني وابتعد عني

دع الايام تفعل ما تشاء وطب نفسا اذا حكم القضاء

ولا تجزع لحادثة الليالي فما لحوادث الدنيا بقاء

ولم يزل ينفق عن سعه حتى لحقته المهانة والضعه وباع المنزل في لهوه وطربه ولم يعتبر بوصية والده

(والمال صنه وورّثه العدوّ ولا تحتج حياتك للاخوان في الأكل)

(نخير مال الفتى مال يصون به عرضا وينفقه في أشرف السبل)

***

وصار من الدنيا خاليا ومن الملابس عاريا الارض وطاؤه والسماء غطاؤه لا يملك من الدنيا ذرة ولا ينظر اليها بعين المسرة لا يملك من حطامها

مايسد الرمق فصار في حالة البؤس والنزق

وأخيرا التجأ الى أعز خلانه وأكرم اخوانه الذين تبددت عليهم أمواله وساءت بسببهم أحواله وكان أعز الاصدقاء يظهر له المودّة والوفاء فلما رأته الخادمة أعرضت ولم تلتفت اليه فسألها عن سيدها فلم ترد عليه فشكرها سيدها على مافعلته وأظهر لها ممنونيته وقال لها قولي انني غير موجود وأنكر نفسه في حالة الوجود فلما شاهد ذلك عمّ العرق جبينه عند سماع أقوال صديقه المهينه

﴿ ومن بيت الكلاب طلبت عظما لقد حدثت نفسك بالمحال ﴾

ثم تذكر من قال

(صديق صديق درهمي لاعدمته فان غاب عني غاب كل صديق)

وتحقق له قول بعضهم أيضا

(رأيت الناس قد ذهبوا الى من عنده ذهب)

(ومن لا عنده ذهب فعنه الناس قد ذهبوا)

فالتجأ الى باقي الاصدقاء لينال منهم الرفد والعطاء فكلهم أجابوا بمثل ما أجاب به الاول فسبحان الغني الذي لا يتحول

﴿ فما أكثر الاخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل ﴾

﴿ ولا خير في ودّ امرئ متلون اذا الريح مالت مال حيث تميل ﴾

﴿ جوادا اذا استغنيت عن أخذ ماله وعند احتمال الفقر عنك بخيل ﴾

فأصبح بعد العز ذليلا وجسمه بعد الصحة عليلا وقد جفته الاخوان وتراكمت عليه الاحزان ان حضر مجلسا يستنكر وان غاب فلا يذكر ومضت على ذلك أيام لا يذوق شيأ كأنها من شهر الصيام

وفي يوم لما توجه الى الدار وهو في أشد ما يكون من الأكدار رأى والدته تتأهب للفراق فكادت تزهق نفسه من الاختناق رآها تتجرع السام

وتذوق كأس الحمام فغشي عليه لفرط هذه الخطوب فلطم الخدود ومزق الجيوب واحتار فيما يفعله الآن بعد نفور هؤلاء الخلان

ثم التجأ الى أحد أصحاب والده بعد ما أصبح العقل فيه رائده فرحب به وأكرمه ووقره وعظمه فطلب منه نقودا فنحه من احسانه ولم يخبره بالسبب لكثرة أشجانه فتوجه وجهزها ثم كفنها وشيعها وبعد ان أفاق درى بالفراق فوقدت جمرته واستحكمت شكيمته وتضعضعت أركانه وتزلزلت أقدامه ونخب قلبه وهزم فؤاده ولبه فقال وقلبه حزين من كثرة البكاء والأنين

والناس في الدنيا كظل زائل ... كل الى حكم الفناء يصير
فالنكس والملك المتوّج واحد ... لا آمر يبقى ولا مأمور

سألتك يا إلهي أن تجيز غصتي وتنفس كربتي قد فقدت أبوي فتفضل عليّ انك كريم وغفور رحيم ثم غشي عليه فسقط وبعد ان قام بكى وسخط وتندم على ما فعل من الغلط

وبعد أن مضت أيام النحوس توجه هذا الشاب المتعوس الى صديق أبيه ليؤدّي جزيل الشكران ويسديه فقابله وحياه وصبره وعزّاه ثم فرّج كربته وأزال غصته وطمن فؤاده وأظهر له وداده واعطاه من المال ما يصلح به الحال وانتظر عليه حتى انقضت فورة الكروب وصبر حتى أسفرت هذه الخطوب

وبعدها عينه وكيلا في محله فصار سليمان يطيعه في كلامه وقوله وهو يكافئه على اتعابه ويكسوه بأفخر ثيابه فاستقام سليمان وصار ينام من الغروب واخوانه له عند رؤيته هروب فلازم الطاعة والعبادة والقناعة لا يمشي مرحا ولا يقصد فرحا حتى أنعم عليه الرحمن بالفتوح والهداية والاحسان وجمع من أجرته الزهيدة أموالا عديدة حيث كان يصرف بتدبير وحساب الى

أن حسن المرجع والمآب وتحسنت حالته وانتظمت معيشته

وبعد ذلك حضرت اخوانه القدماء الذين كانوا له زملاء أصفياء وعلامات البشر عليهم تلوح وقلبه من أفعالهم جوح فقال أحدهم

(يامن أساءت وبالاحسان قابلني وجوده لجميع الناس مبذول)
(قد جاء عبدك يامولاي معتذرا وأنت للعفو مرجو ومأمول)

﴿ وقال الآخر ﴾

والق الأحبة والاخوان ان قطعوا حبل الوداد بحبل منك متصل

﴿ ثم قال الثالث ﴾

ولا تذكروا الماضي الذي كان بيننا دعوا مامضى من اليوم واستبدوا

فسليمان اعتبر بمن قال (حسن اللقاء نصف السخاء) فصافحهم وأكرمهم وقابلهم باللطف والبشاشة وفخمهم غير انه اجتنب السير والسهر معهم وصار لا يختلط بأحدهم وازداد التفاتا للأشغال وأيقظ عيونه للأعمال فسر صديق والده القديم وخليله الوفي الحميم

وسليمان تعلم البيع والشراء والاخذ والعطاء حتى صار رجلا مشهورا واسمه على ألسنة الخلق مذكورا

***

وفي ذات يوم حضرت له سيدة ويظهر انها من عائلة ماجدة فأخذت بمجامع قلبه واقتنصت فؤاده ولبه واشترت منه أشياء وأرادت دفع الثمن فامتنع من الحياء ثم سارت تتبختر فانتظر عودتها فلم تحضر فازداد اليها شوقا وهياما ووجدا وغراما ثم كتب اليها الرسالة الآتية وبدأها بالسؤال عن الصحة والعافية ثم سطر اليها ما يكنه الضمير بأجلى بيان وأفصح تعبير

(عذبت طرفي بالسهر وأدبت قلبي بالفكر)
(ومزجت صفو مودتي من بعد بعدك بالكدر)

(ومنحت جثماني الضنا وكلت جفني بالسهر)

وختم الجواب وأرسله فلم تجبه على ما أمّله فكتب اليها ثانيا وهو عليل من بحر الطويل

أراعي النجوم الزّهر وهي تروعني وليلي في فرط الغرام يطول
ولم يبق لي صبر ولا لي حيلة فأي كلام في السؤال أقول
عليكم سلام الله في ساعة الجفا سلام من الولهان وهو حمول

فلما وصل اليها هذا الكتاب فضته ثم تلته وتركته واستمرت على ذلك بضعة أيام وأما هو فمن حبه اليها صار لا ينام وكان ينتظر الرد منها بفروغ صبر ووعد من يأتيه بالبشر يجازيه بعظيم الثناء والاجر

وبعد أسبوع لبست ثيابها وتوجهت اليه فعند ما رآها ردّت اليه روحه وهي حنت عليه وقالت أيها الحبيب والاخ المحترم الاديب ورد الىّ كتابك الكريم فأوردته عندي مورد الاعزاز والتكريم وبعد ان فضضت لثامه وخفت بيانه دهشت من حسن معانيه لرقة ألفاظه ودقة مبانيه فأنت ياسيدي غاية قصدي والمراد وحبك لا يزال عندي كمين في الفؤاد وشوقي ياحبيبي أضعاف ما عندك ولا حبيب لي غيرك . فقال لها ياسيدتي أنا لك خادم مطيع وعبد لقضاء لوازمك سريع فقالت له حاشا لله أنت حصن منيع وسيد ذو قدر رفيع فأتم حديثه وقال وهو في غاية الاضمحلال بعد ذهابك هجرت النوم الى هذا اليوم . فعالطته وقالت أعزك الله ووفقك لما يحبه ويرضاه أنا أريد الآن أن تكون في أمان واطمئنان وأستأذنك في الذهاب أيها الحبيب خوف عزول أو رقيب وسنجتمع عما قريب باذن الله انه سميع مجيب واذا أردت أن تشرفني فالمنزل في الجهة الفلانية وموقعه من البلد في الجهة القبلية دمت سعيدا وحييت عمرا مديدا

فودعها وقلبه كاد يتمزق لفراقها وصار يدعو بسرعة ايابها

ثم تفكر فى سلامة ذوقها وبديع ألفاظها وكمالها وآدابها فوق فرط جمالها فسكت وتاه الى أن تضعضعت قواه وتمنى أن يراها ليتمتع برؤياها ويترنم برقيق كلامها ولطيف طباعها وما أقبل الليل ومضت منه ساعات حتى تقرحت أجفانه من سكب العبرات وصار فى أمره مفكرا حتى فى الصباح قام مبكرا وصار يخطو بسرعة حتى سار ميلا فى مسافة برهة أملا فى أن يلاقى محبوبته ويطفى بلقائها لوعته وبعد ان وصل الدار لحظى بمشاهدة الانوار دق الباب ففتح له أحد الحجاب وأجابه ماذا تريد فهت سليمان وقال صفحا أيها السيد السعيد انه أخطأ نظرى فى تلك السراى فاعف عنى يا مولاى فأغلق الباب فى وجهه ولم يلتفت الى جهته

فعاد خائبا والنجاة طالبا وعلا وجهه الاصفرار وكاد أن يحل به البوار وصار يهجر القوت ويتمنى الموت حتى وردت اليه رسالة فى البريد فاطمأن قلبه وقبلها بشوق مزيد وبعد ان رآها أجلها وحياها ثم افتضها وقراها فاذا هو مكتوب فيها

أنت الحبيب المفرد ... فلك الهنا المستقبل
عندى لك الود الذى ... هو ما عهدت وأكمل
القلب فيك مقيد ... والدمع فيك مسلسل

ومذيلة بخاتمها وبعد أن تلاها وضعها فى جيبه وطواها

***

وقد كان مطلعا على أحواله وعلى ما كان يتمناه سليمان من آماله صاحب هذه الدكان فقال له بعذوبة اللسان اصبر يا ولدى وفائدة كبدى واطلعنى على ما جرى لك نجح الله أعمالك فتأوه سليمان وقال لسان الحال

سأصبر حتى يعلم الصبر أننى ... صبرت على شئ أمر من الصبر
وأصبر حتى يغلب الصبر من صبرى ... وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى

فقال له الرجل الكريم وكان يسمى عبد الحليم يا ولدى انى لقضاء حوائجك ساع وسأبذل منى الجهد واليراع والله المعين ليرحمك من هذا البكاء والانين

ثم توجه فى الحال وجيوبه مملوءة بالاموال الى والدة السيدة المصونة والجوهرة النفيسة المكنونة وطلب منه مطالبه فبلغه بدون جدال ما آربه وعند ذلك قام سليمان وقبل يديه الكريمتين وهو جذلان ودعا له بعز النصر والاقبال وابقائه حتى يبلغ الآمال

وبعد ان تم الفرح زال عنه الترح وانشرح وقضى أيامه فى هناء على أتم ما يكون من الصفاء

ثم ان سيد الدكان لما تحقق من عامله سليمان انه صادق أمين متمسك بالشريعة والدين وأطواره وأخلاقه حميدة وأقواله وآراؤه سديدة وقد أشرقت بهجته وراقت نضارته اعطاه صرة بها كثير من الجواهر والنقود وأخبره بأنها لأبيه لما كان على قيد الوجود وخاطبه قائلا . والدك كلفنى بأن أدخرها عندى وقال لى احفظها حتى يكبر ويستقيم ولدى ولا أعطيها اليه إلا عند الضيق عند نفور الرفيق والصديق فلما حضرت أول مرة لم أعطكها خوفا من أن تفقدها أو تبددها واعطيتك منها ما يلزمك لقضاء مصالحك ولوازمك ولكن لما تزوجت وسلكت طريق الحق رأيت انك بها الآن أحق خصوصا لما شاهدت فيك الصلاح والاستقامه والتوبة عما سلف وعض بنان الندامه تحقق لى حسن الرجاء فيك فالله يبلغك آمالك وأمانيك هذا وانى أرجو الله أن يرزقك الفلاح ويهديك سبل الصلاح وطريق النجاح آمين وللقريب ميعاد الوضع طلب من الله حسن السلام فأجاب دعوته سبحانه على ما يرام

***

ورزقه بطفل سماه عبد اللطيف وأمّل بأن يكون خير حبر شريف ولكن

ما كل مايتمنى المرء يدركه حيث لما كبر صارت أمه لاتتركه بما انه هو فلذة كبدها الوحيد وثمرة فؤادها الفريد وصارت لاتعطيه لوالده يربيه لئلا يضربه المعلم أو يؤذيه فأخذه والده منها بدون رغبتها وأدخله المدرسة ليتعلم اللغات والحساب والهندسة وصار يوصي ولده بحفظ الدرس كي تطيب به النفس ويثمر الغرس ويجني الخير والرغس

والولد لكلام أبيه ليس صاغيا ولا لتلقي الدروس واعيا وعند تفهيمه العلوم يضحك ويلعب وبعد الانتهاء منها يرتع ويطرب ويشتغل باللهو والمزاح زاعما انه مباح حتى كبر ولم يفلح وخاب ولم ينجح ولكن كان معتمدا على وجود أبيه وثروته غير مفكر فيما تؤول اليه خيبته

وأخيرا أخرجه أبوه من دار التعليم دار الفخار والتعظيم وصار عبد اللطيف يتباهى بحسن زيه وهو على ضلاله وغيه مرتكنا على والده وثروته ومحامده

وأمه ترحب به ماشاءت وتجلسه بجانبها متى اشتاقت وهو يلقي عليها مر التعليم وصعوبته ولا يدري ما أحسن عذوبته وهي تبكي على حمله الكتاب وما أشق ما كان فيه من العذاب وتحمد الله الذي أخرجه وأراحها وأزال أفكارها وأتراحها وصارت تنقده بالنقود وهو يصرف في سماع الألحان والعود ووالده يرشده بالنصائح وهو يزداد في القبائح حتى ان والده ضاق منه صدره وتعب جسمه وفكره وقلق باله واشتغل بلباله وتغير حاله

فاستشار بعض أصدقائه المشهور بفضله وذكائه فقال له الأوفق أن ترسله الى البلدة الفلانية فانه ليس فيها غير طباع حيوانية وانا سها لايخشون منه لومة لائم ولا يرعون له حقا حتى اذا كان هو أحسن عالم وما ذلك إلا ليعتدل ويرجع عن سوء سيره ويمتثل فقد تحسن أحواله وتحفظ أمواله لانه يكون في غربة فيضطر لان يعيش سالما لانها كربة وان ما أراه هو أحسن

درس اليه وقد أرشدتك عنه ونبهتك عليه فافعل يا أخي ما بدا لك كلل الله بالنجاح أعمالك وحقق آمالك وأصلح حالك انه ولي التوفيق يهديه الى أقوم طريق فاستصوب هذا الرأي المفيد من نخبة أصدقائه الفريد وعوّل على أفكاره وما أرشده به وحدث عنه بأخباره وقال حقيقة لا خاب من استخار ولا ندم من استشار ثم طلب من أحد معارفه في الجهة المذكورة أن يلحق ولده معه في وظيفة مشكورة فسعى هذا الصديق بجد واجتهاد وبذل كل الجهد حتى تم المراد وتحصل على الامل المطلوب حسب الغرض المطلوب

***

وتعين عبد اللطيف فيها وسار سيرة ترضيها غير انه صار يراسل والده بالغربة في هذه الديار ووحدته في تلك البلدة كثيرة الاخطار والوحوش والقفار ويقول بانه ليس له فيها صديق ولا نظير ولا رفيق ولا خل وفي ولا شيخ تقي ولا أحد يؤانسه ولا صديق يجالسه ولا حاجة تسليه ولا عالم يقتديه ولا مناظر سارة حتى ولا اناس من أسفل منزله مارة كأنه في قبر أو سجن أو وكر فكتب اليه والده ينبيه ان الغربة يا ولدي هي عز لك ترنجيه فاتخذها ثوبا ترتديه وثمرا تقتطفه وتجنيه فلا قلبك يجزع ولا عينك تدمع ولا تسأم ولا تقلق ولا تحزن ولا تحنق فقد قالت العقلاء الافاضل الشعراء

تغرّب عن الاوطان في طلب العلا وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

فرد عليه ابنه وقال لقد سهلت عليّ المحال وأنا يا والدي في اضمحلال ومضطرب الفكر والبال والآن ليس يعرفني انسان وليس لي فيها حنان ولا أعرف فيها عدوي من صديق لاتخذه لي رفيقا في طريق فان تكلمت سرًّا الى أحد أباحه وان عاتبته فلا أسمع منه غير الوقاحه وهكذا عيشتي في صعوبة فكأنني بين أهالي تلك البلدة ألعوبة ولا يسليني في هذا الزمان غير ألحان

الغربان انظر ماقيل أيها الوالد الجليل

(وقد) قيل فى الاسفار ذل ومحنة وقطع الفيافى واكتساب الشدائد
فوت الفتى خير له من حياته بدار هوان بين واش وحاسد

فعندما اطلع والده على هذا الكلام فكر فى أن ولده فى أضغاث أحلام ولكن رجع وقال انه معذور لانه شاب فى بلدة ليس له فيها أحباب ثم تأمل فيما ذكره ولده فى البيتين فوجد ان الفرق بينهما وبين الحقيقة خطأ مبين إذ أن ماهو مسطر بهما هو

(وان) قيل فى الاسفار ذل ومحنة وقطع الفيافى واكتساب الشدائد
فوت الفتى خير له من حياته بدار هوان بين واش وحاسد

فكتب الى ولده ياولدى اصغ لقولى لقد أبدلت الارض بالسماء والسماء بالارض الحصباء لقد نقلت الشمس من المشرق الى المغرب بقولك المغرب (وقد قيل الخ) (بأن قيل الخ) فان بقد الاولى بؤسا وشقاء وبان الثانية يسرا ورخاء فلا تستصعب الامور والتعب فان بالتعب تبلغ أسمى الرتب واعتبر كلام الحكماء حيث قالوا

(سافر تجد عوضا عمن تصاحبه واتعب فان لذيذ العيش فى النصب)
(ما فى المقام لذى لب وذى ثقة معززة واترك الاوطان واغترب)
(انى رأيت وقوف الماء يفسده فان جرى طاب أو لم يجر لم يطب)
(والاسد لولا فراق الغاب ماقنصت والسهم لولا فراق القوس لم يصب)
(والبدر لولا أفول منه مانظرت اليه فى كل حين عين مرتقب)
(والتبر كالترب ملقى فى أماكنه والعود فى أرضه نوع من الحطب)
(فان تغرب هذا عز مطلبه وان أقام فلا يعلو على رتب)

وفى هذا القدر كفاية وكل مقام له نهاية فافهم نفيس الالفاظ ياجامد الطباع الغلاظ واختر ماشئت فعليك قد نبهت بالغربة عن الاوطان

لتحارب فيها الشيطان وتعرف مصدر العيش ويزيل منك الطيش وتدرس الاحوال وتعتبر بالاقدار ويحسن منك المآل والسلام في البدء والختام

فبعد ان ورد الى الولد الكتاب صبر على ما يتجرعه من كؤوس العذاب ولكنه كان في شدة من انفراده بالوحدة وملّ وسئم وضاق صدره وندم وصار يسير في البلدة ليفرج الكربة وتزول عنه هذه الشدة

وبينما هو سائر مهموم حزين مغموم رأى رجلا كهلا في كوخ صغير وليس حوله من يعينه على التدبير فتعجب لما رآه حيث ان الله قد ابتلاه بفقد حاسة البصر وقد فقدا في حالة الكبر وصار متحيرا ومكث متفكرا كيف هذا الرجل الكهل يسكن وحيدا وهو فاقد البصر فريدا وكيف يعيش أيضا وهو نحيل الجسد وليس لديه قوة ولا جلد وكيف يحضر الوقود مع انه لا يمكنه القيام ولا القعود وكيف يصبر على عدم مؤانسته بأحد وكيف لا تظهر عليه علامات النكد وكيف لا يسليه أو يساعده انسان وكيف تقضي طلباته في كل آن وتغسل ثيابه من الادران وكيف صابر على هذه الاحزان

أنا الرجل الشاب قوي البنية سليم النظر لا يمكنني الذهاب ولا الاياب وكيف ذلك الرجل حي يرزق بدون أن يسرق أو يتملق أمر عجيب وسرّ غريب

وعندما وصل اليه وسلم عليه سأله الشيخ عن حاله فأخبره الولد بأحواله وقال بأنه ضيق الصدر وفرغ ما لديه من حسن الصبر لما أصابه من الحرمان وتقلب الأزمان وذكر له النعمة التي كان فيها والشدة الآن التي يقاسيها فبعد ان فهم الشيخ كلامه أظهر له ملامه وقال له يا ولدي العزيز اجعل لما سألقيه عليك نصيبا من التمييز تعش مهنأ البال معزز النفس بالترحيب والاجلال

الكحل نوع من الأحجار منطرحا ... في أرضه كالثرى يرى على الطرق

لما تغرّب نال العز أجمعه ... وصار يحمل بين الجفن والحدق

فطرب الولد من هذه الحكم وأظهر سروره وابتسم

فقال الشيخ الكريم بكلامه العذب الرخيم ياولدى أطع أبويك وأدّ الفريضة التى عليك ولاتكن عاقا ولاتخالفهما فى أمر مهما كان شاقا تسد بنجاح باهر ودعوات من قلب طاهر وأوصيك أيضا بأن لاتصحب من هو دونك فانه بجهله يؤذيك ويوقعك ولاتصطحب بمن هو مثلك فيحسدك ولا ينفعك وداوم على التقوى والصلاح والصلاة عند سماعك حىّ على الفلاح

واعلم بأن الليل طويل فلا تقصره بمنامك والنهار مضىء فلاتكدره بآثامك ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم والسلام

***

ثم قام الولد وتفكر فيما يفعله وتبصر فيما يطمح اليه أمله وقد ترك هذه الوصية بسوء نية وقال ان أحسن علاج هو مسألة الزواج لانه يزيل الأتراح ويجلب الأفراح ويكون فيه الهناء وبه تطيب أوقات الصفاء والزوجة تعينه على قضاء الحاجات وتقضى اليه كل الواجبات وبذلك يطمئن منه الفؤاد ويهدى الى سبيل الرشاد ويكون له فى تلك البلدة أهل وأحباب ومعارف وأصحاب ثم قد ساقه الجهل الى تسهيل أمانيه ونيل مايبتغيه فقال

(وكل شديدة نزلت بقوم سيأتى بعد شدّتها رخاء)

وطيب أيضا خاطره بالكسب من المقامره لاعانته على مايتمنى اذا تسنى وصار يلعب بالطوب ويفرغ عليه مافى الجيوب حتى انتهت والطمع يقوده الى اللعب ثانية لاحضار نقوده فلعب ثانية فربح وغنم ثم ثالثة فخسر وندم ولزمه الضيق واتقد قلبه بالحريق ولكنه اتعظ بماقاله الشاعر

(تصبر للعواقب واحتسبها فأنت من الحوادث فى اثنتين)

(تريحك بالمنى أو بالمنايا فان الموت إحدى الراحتين)

فلعب رابعة بما كان معه وأفرغ مافى جيبه فربح المال بأجمعه فعندها

تهلل وجهه بالبشر والفرح وسرّت نفسه بذهاب الحزن والترح

(ولكن يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما يشاء)

فانه بعد توجهه الى داره تبعه لص الى محل قراره وخبأ نفسه فى زاوية فيها التراب والعنكبوت حاوية وبعد ان أدخل الصرّة التى معه أغلق الباب وترك المفتاح سهوا وهمّ بالذهاب لاحضار شئ من المأكول كى تحظى نفسه بالهناء والقبول وبعد توجهه الى محل مايريد دخل اللص وكان من نسل العبيد ثم أخذ جوهرة قلبه ونال بغيته وطلبه وفرّ فائزا وللمال حائزا

فحضر هذا المسكين وقلبه حزين يخفق ويضطرب وجسمه يرتعش ويرتعب خوف السرقة من هذه الحركة ولما وجد الباب مفتوحا سقط بجانبه مطروحا دامى العين من كثرة البكاء والأنين وأخيرا تمثل بالصبر وتجرّع ذلّ الفقر وحمل على كتفيه مفتاح الشقاء وكنز البلاء ولكن أخيرا تفوّه وقال بلسان الحال الفقر لباس الانبياء وشعار الصالحين الاتقياء

وبعد بضعة أشهر وأيام اجتمع لديه مال من اقتصاده على الدوام فأمّل النفس الخبيثة بتعويض ماقد سرق بدسيسه وعاد الى المقاهرة فى المرّة الثانية وتوكل على الله فأعطاه من فضله ماتمناه

وطلب من الخاطبات العجائز الكاهنات أن تسعين فى زواجه ليعتدل ماقد مال من اعوجاجه ولكن لم يستشر والده فيما عزم ولم يخبره بما التزم خوفا من عدم رضائه لعدم قدرته على واجباته ولم يعتبر بمن ذكر

(من استشار صروف الدهر قام له على حقيقة طبع الدهر برهان)

فصارت الخاطبات تسلبن منه كل نفيس كأنهنّ حبائل ابليس ويقلن له سنرى لك زوجة ذات منظر وبهجة تفوق الجمال حسنة القدّ والاعتدال ويخصصن بالمدح واحدة وانها طيبة عابدة زاهدة وقلن انها من أكبر العائلات ومن بيت مجد عال من الذوات فسرّ كثيرا وقال انه أصبح بصيرا

(عقل الفتى ليس يغنى عن مشاورة كحدّة السيف لا تغنى عن البطل)

***

وبعد تبديده ما اكتسب وماناله وما اغتصب دخل بزوجته وقد اتضح وأذاع الامر وانفضح انها كانت خادمة فى بيت كبير ذى شوكة ومجد غزير فتندم لما تقدم وبعد ان كان يتمنى مجىء الايام ليحظى ببلوغ المنى ونيل المرام وانشاده الابيات عند رؤية الصبيات

(أخاف انقطاع العمر قبل اتصالها فوا أسفى ان فات ما أنا طالب)

لبس رداء الحزن والكدر لما خد عنه الخاطبات وكاد ينتحر ولكن صبر على بلوته وما أصابه من رزيّته وأنشد ما قاله الشاعر الوجيه الشريف النبيه

(رأيت الكيد فى الدنيا كثيرا وأكثره يكون من النساء)

(فلا تركن لأنثى طول عمر ولو نزلت اليك من السماء)

ثم اجتمع بها وهو كاره لها غير ملتفت الى جمالها وحسن بهائها

ثم صار يلتفت اليها بالتوبيخ والشتم والسب والأذى واللطم لعدم محبته بما انها ليست وفق رغبته ولانه لم يفرح بالزواج غير شهر وصار كئيبا بعدها طول الدهر ولم يكتسب سوى غرم المهر ودق الظهر وقصر العمر وشغل الفكر وبعدها هجر الفراش والسرير ولم يعتبر بقول الشاعر النحرير

(واذا بليت بنكبة فاصبر لها من ذا رأيت مسلما لا ينكب)

ولما آن الأوان ورزقه السيد الرحمن بولد ذكر فاحمد ولا شكر بل طغى وكفر وازداد غيظا وتأوّها ونفورا وتكرها ولم ينقدها عند ما تطلب ذرة منقودة وطالما ياطلها الى أيام معدودة ثم تركها بالمرّة وهجرها ففوّضت أمرها لله ولىّ أمرها وعاشت فى بيت حقير قليل الغرف صغير

***

وأما الولد فسمى أحمد وبعد ان ترعرع صار يعبد الله ويتضرّع

ويلعب مع أولاد الفلاحين تارة وطورا يحمل السماد للمارة فرّ شقه أحد الاولاد وقت المزاح فأراد أحمد أن يضربه بالسلاح حيث ان الولد أشبعه ضربا على صدغيه وأدمى وجهه وأذنيه وحضر أيضا أبوه وأهله ووووه فضربوه ثم طردوه وأهانوه وزجروه فبكى أحمد وتوجه الى أمّه وهو غائب عن صوابه ورشده وسألها عن أبيه ليأخذ له بالقصاص ممن يؤذيه فأخبرته بانه قد مات واقتنصه هادم اللذات ثم أمرته بالتواضع والسير بالرفق وعدم الترافع وقالت له يا ولدى اسمع منى النصائح وابتعد عن القبائح

الكبر ذل والتواضع رفعة والمزح والضحك الكثير سقوط

يا ولدى أنت الآن يتيم فلا تكن شقيا كالشيطان الرجيم يا ولدى الزم الصمت والهدوّ والسكينة واستعمل الحزم ولين الهريكة وأحسن فيما بينك وبين الناس المعاملة والاعتدال واجتنب الشرّ والمزاح فى كل الاحوال وابتعد عن الاشرار فانهم اذا أيسرت لازموك واذا أعسرت هجروك وتركوك ولا تكن أيضا ظالما تعش عزيزا سالما

فسار سيرا حميدا آملا أن يكون سعيدا وصار يسقى ويزرع ويحصد ويقلع ويؤجر فى الاعانة والمناولة حتى صار يأخذ على عهدته كل مقاولة وكان يتمنى السعادة وبلوغ الآمال وأمه تبشره بذلك وتوعده فقال أنا يا والدتى قد سمعت رجلا أديبا عاقلا لبيبا يقول كلمات تتناثر من بين ثناياه فجلّ من أعطاه وأنشد بيتين كالدرتين فريدتين وهاك هما

﴿ البيت الاول ﴾

دع التكاسل فى الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان

﴿ البيت الثانى ﴾

الجدّ فى الجدّ والحرمان فى الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الامل

فردّت عليه الوالدة وقالت يا ولدى سألت الله أن يفتح عليك ويحسن

اليك ويبلغك أمانيك ويكفيك شرّ من يؤذيك

يارب يا كريم يارؤوف يارحيم فقدت والدىّ فاعطف بجنانك علىّ وقد تركنى زوجى وابتعد بعدان ألبسنى ثوب الحزن والنكد تركنى يارب ولم يسأل عنى فأنت أرحم الراحمين فارحمنى يارب بارك فى ولدى واجعله سعيدا الى الأبد واغننى من فضلك واشملنى باحسانك وعدلك أنا أرملة يتيمة عديمة الأهل منقطعة سقيمة ليس لى غيرك ياالطيف فالطف بى أحسن تلطيف وصلى الله على سيد الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام آمين آمين يارب العالمين

***

ثم انه بينما كان يجد فى الحفر فى أرض مجدبة قفر إذ وجد صرّة موضوعة فأخذها وتأملها فاذا هى مقطوعة وظهر منها لون أصفر ففرح فؤاده واستبشر ثم عاد الى منزله الذى أشبه بالقبور وهو فى حالة جذل وسرور ولم يبح بسرّه الى أحد من أهالى تلك البلد كأنه سمع من قال

والسر فاكتمه ولا تنطق به فهو الأسير لديك إذ لا ينشب

ثم انه خاف أن تسرق الأموال فيرجع الى أصله فقيرا الحال فتدبر فيما يكون باستعمال الحزم والسكون ورأى أن يسرع بشراء الأملاك خوفا من ضياع المال ويؤل مصيره الى الهلاك

(ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم)

فاشترى الأطيان ودرج اسمه فى سجل الأعيان وكل الناس عرفت مصدر المال وخروجه من بين الارض والرمال ولما عد ضمن الاعيان والعمد صارت كل الناس تنظر اليه بعين الحسد وقد صدق الشاعر فى قوله

(حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالكل أعداء له وخصوم)

(وترى اللبيب محسدا لم يجترم شتم الرجال وعرضه مشتوم)

(وكذلك من عظمت عليه نعمة حساده سيف عليه صروم)

ولكن بعدان كان ذليلا حقيرا بائسا فقيرا لا يملك شروى نقير معدودا بين البهائم والحمير صار معدودا فى مصاف الأغنياء أكابر القوم الفضلاء وصارت الناس فى خدمته متسابقة لراحته مقضى الحاجات منفذ الكلمات ثم شيد المساجد وعمر المعابد فازدادت الأهالى رغبة فيه وحبا وميلا اليه وصار يربى الأيتام ويكرمهم غاية الاكرام وسار سيرا مليحا وأخفى ما كان منه قبيحا ففتح الله عليه فتوحا عظيما ونصره نصرا مبينا خصوصا لما كان يتقى الله فى معاملاته ويؤدى فرائضه وواجباته كأنه حافظ قول القائل والماجد الفاضل

(واشدد يديك بحبل الله معتصما فانه الركن ان خانتك أركان)

وقد بلغ أقصى درجات العز والرفاهية بدوام الصحة والعافية وبنى قصرا نفيا وبستانا عظيما وأحضر فيه الخدم والعبيد للوقوف على الأبواب وقضاء مايريد وصار كأنه ملك من الملوك بعدان كان الفقير الصعلوك

***

وفى ذات يوم بينما هو جالس فى القصر وقد أذن مؤذن العصر رأى شيخا مخنيا رث الثياب فقيرا مكتئبا اقترب من باب القصر وطلب من البواب أن يحسن اليه ولو برغيف من اللباب حيث انه قد أماته الجوع وصار يتذلل له بالخضوع والخشوع فما كان من الخادم إلا انه طرده ونهره ثم سبه وزجره فشتمه هذا البائس فتطاول عليه بالضرب الرجل الحارس وأشبع الشيخ المسكين ضربا فمن شدة الألم قد انطرح أرضا ولما رأى ذلك سيد الدار انقد قلبه بالنار وأمر فى الحال من كان حاضرا من الرجال أن يدخلوا هذا الرجل المسكين الذى فتتت احشاؤه من البكاء والأنين وأمر باكرام مثواه واعطائه كل مايتمناه مع حسن المعاملة وطيب المجاملة اتباعا لوصية الوالدة

اليه وتنبيهها عليه حيث قلت ما أنشده الشاعر الكريم والخطيب المصقع العظيم

(احسن الى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الانسان احسان)
(وكن على الدهر معوانا لذي أمل ... يرجو نداك فان الحرّ معوان)
(احسن اذا كان إمكان ومقدرة ... فان يدوم على الاحسان إمكان)

فأدخل الرجل وبعدان كان يفترش الأرض وطاء ويتخذ السماء غطاء وثيابه باليه وجيوبه خاليه صار يأكل من الطعام أطيبه ويشرب من الماء أعذبه ويحدّث بلين الكلام وهو في أرحب مقام وينام على سرر مفروشة وأمكنة بالطيب مرشوشة ولما أفاق بسبب هذه النعم وامتنان الله عليه بالسعة والكرم اشتد عصبه وذهب عطبه وقوي بدنه وفني ضعفه وحزنه وصار يستنشق الهواء في البستان الذي ينشط اليه كل جبان ويروى لرؤيته الظمآن ويأخذ بمجامع اللب والجنان خصوصا لما فيه من أنواع الثمار واختلاف الأزهار وعطر الروائح مما شد بالأزر والجوانح

***

وبينما كانت والدة السيد أحمد مطلة على هذا البستان الجميل إذ لاحت منها التفاتة الى هذا الرجل المسكين العليل فبهت لونها وكثر كربها واشتد همها وعظم وهمها وصارت مرتعبة القلب مشتغلة البال واللب فسألها من كان حولها فلم ترد على أحد ولزمت الصمت والنكد ولما حضر ولدها سألها عما أصابها فلم تنطق ببنت شفة ولم يظهر منها أي اشارة أو صفة تدل على حالها وما ألمّ بها ولما كرّر عليها السؤال وألح في المقال صارت تبكي وتتنهد وتتصعب وتتشهد وأخيرا قالت له يا ولدي أنت ثمرة فؤادي وكبدي فاسمع ما أقول والله يوجه اليك القبول مر هؤلاء العبيد والخدم بادخال هذا البائس الى لانتشاله من سقطة العدم فصار مدهوشا متحيرا ولهانا متفكرا

وارتبك فى أمره واشتد لهيب جمره ولزمته الهموم والأكدار ولاحت على وجهه علامات الحزن والاصفرار وضاقت فى وجهه الأقطار فلم ينفعه الفرار

فقالت ياولدى هلا سمعت من ذكر وأجاد فشكر

(وكن رجلا على الأهوال جلدا وشيمتك السماحة والسخاء)

وبينما هو سائر يخطو سمعها تقول وتتلو

(لا تجزعن من الحوادث انما خرق الرجال على الحوادث يجزع)

فصار يحدث نفسه كيف يدخل رجلا غريبا لا صاحبا ولا خادما ولا قريبا وكيف تطلب منه أمه ذلك لا بد له من سبب أو أسرار هنالك كيف أدخله وقد سمعت قول العقلاء والأدباء النبلاء

(لا تأمنن على النساء ولو أخا ما فى الرجال على النسا من يؤمن)

ثم دخلت عليه والدته وقالت وبأيديها أشارت لم لا تفعل ما أمرت وما اليه أشرت فان كنت لى مخالفا فبلا شك أنت تصير تالفا

فرد عليها ياوالدتى أنا بأوامرك متمسك عاكف وانما من حضوره عندك خائف خصوصا وانه رجل غريب الديار ولا نعرف له أمصار وربما يطلع على أحوالنا ويسترق سمع أقوالنا ولا أعرف غرضا أدعوه به الى الدخول ولا يمكننى أيضا أن أدعوه برسول إذ عقلى يتشتت وفؤادى يتفتت ثم أخذ يبكى بشدة وهو كاظم الغيظ بحدة وبعد برهة عادت اليه أمه وصرخت وعلى أفعاله وعدم امتثاله سخطت وقالت بعلو صوتها مالك ياخبيث لا تنفذ أقوالى وإلا م تنتظر وأنت مشاهد أحوالى انى وحق المولى ساخطة عليك وغضبى ومادمت هكذا لا حييت ولا عشت ولا قعدت ولا قمت ولا نجح الله لك أى عمل ان شاء الله مع إماتة الأمل فازداد بكاء ونحيبا وصراخا صيره حزينا كئيبا وكادت تزهق منه الروح من كثرة البكاء والنوح وتمنى المنية عن قريب وكره لقاء الصديق والحبيب وبينما كان يفكر فى أمر به ينتحر ومن الفضيحة والعار

يتهى ويستتر إذ دخلت عليه أمّه وقالت وحنت عليه ومالت

أيها النجل الكريم كانت تقتى بك انك الهادئ الحليم اعلم ان هذا الرجل المسكين الضعيف هو سيدك الوالد عبد اللطيف فصرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه ولما أفاق من غشيته وردّت روحه اليه قال لها أتضحكين علىّ أيتها الوالدة الحنونة أم لتظهرين مالدىّ من الرعونة أوأنا للآن طفل صغير تهزءين بى بالقليل والكثير

فقالت له ياولدى أأنا كاذبة واذا كنت فأى شئ من حضوره طالبة فأخذته الدهشة بعد ان تناولته يد الرعشة ثم قال ياوالدتى لقد سألتك عن والدى منذ كنت رضيعا فقلت بأنه قد توفى صريعا والآن تقولين انه فى حيز الوجود وفى قائمة الحياة معدود وغريب أيضا انه عندنا فى البستان فكأنى الآن بحالة الوسنان اذا كان هذا الامر له نصيب من الصدق فأجابته انى كما قلت ياولدى فاستعمل فى أحوالك الرفق فسكت قليلا ثم تكلم ان الدهر مدارس ونحن فيها نتعلم

فقالت ياولدى الاديب لقد سررت منك كثيرا لانك حازم لبيب ولكن كنت تتعجل فى أفعالك وتظهر عليك علامات أحوالك من سرعة الغضب فاعتقد انها من قلة الادب ان هذا الرجل الذى أخبرتك عنه هو والدك الكريم الذى أتيت بك منه وقد أدّاه الى تلك الحالة الشنيعة سوء أفعاله وخصاله الفظيعة وأوصله التعاجب والعظمة والكبر واحتقار الغير والفخر وعدم القنوع بالقليل الى هذا الشقاء الطويل أوصله الطمع والغرور الى الذل والحرمان والثبور أوصلته قسوة قلبه وغلظة طبعه وسوء السير والسلوك الى هذا الحد حدّ الشقى والصعلوك ثم سارت قليلا بعد ان بكت بكاء طويلا فتبعها هو وعللها قليلا وقال لها صبرا جميلا فقالت له انى أرجو الآن أن تحضره بلا توان ياولدى

ليس كل الاوقات يجتمع الشمـ ـل ولا راجع لنا ما يفوت
فاغتنم ساعة اللقا فا ته لم نفس بأى أرض تموت

***

ثم قام وتوجه الى الشيخ الكريم وحياه بتحية الترحيب والتمجيد والتفخيم وأجرى معه الحديث الى ماسلف من القديم والحديث ولما عرف وتحقق انه هو أبوه أحضر الخدم وحلوه ثم أوصلوه للاستحمام والرجل يظن انه سكران أوفى أضغاث أحلام وبعدها أحضرت له ملابس الحرير فلبسها وهو مضطجع على السرير غير مفكر ان صاحب المنزل هو ولده بل ربما أكرمه نسروره وقيامه فرحا من عنده وبعد ان تطيب الشيخ بالطيب أتاه ولده وحمله حمل الحبيب للحبيب وأدخله المنزل مسرورا فطاب أنسهم وازدادوا صفاء وحبورا وعندما وقعت عينه على زوجته سال منه الدمع من عظيم فرحته ثم جلس قليلا وبكى طويلا وصار يعتذر عما سلف وحمد الله على حسن الخلف ثم تأوه وقال وندم على ماسلف منه من الفعال

من يزرع الشر يحصد فى عواقبه ندامة ولحصد الزرع إبّان

قد قدر الله علىّ ما كان من تجرع كؤس الهوان والذل والفقر والحرمان وماذلك والله إلا من وساوس الشيطان وعدم الهداية من الرحمن ثم تنهد وبكى وسقط مغشيا عليه وانطوى وبعدما أفاق تذكر ما كان فيه من الكذب والنفاق ثم تذكر أيضا ماقاساه من آلام السخط والعناء ومامضى من أيام حياته من البؤس والشقاء

وزوجته تحمد الله الذى أوصلها لهذه الغاية وبلوغها عظيم الرفعة وكمال النهاية وتذكرت ماقاسته من التعب الشديد أيام ان كانت مع هذا الزوج العنيد ثم كررت ماقاله الشاعر المفلق والخطيب المصقع المدقق

(واذا أصابك فى زمانك شدّة وأصابك الخطب الكريه الأصعب)

(فادع لربك انه أدنى لمن يدعوه من حبل الوريد وأقرب)

ثم التفتت لزوجها وقالت وبعلو صوتها فاهت

تبا لدار لا يدوم نعيمها ومشيدها عما قليل يخرب

وبكت كثيرا فتأثر الحاضرون من ذلك تأثيرا فقالت انني كنت من بيت طيب شريف يأوي ويلتجئ اليه الفقير والضعيف انني من عنصر كريم لا من بيت عديم انني من سلالة طاهرة وسلطة قاهرة قد فتتها الدهر بمخالبه وعضها بنابه رغبة لمطالبه وهكذا حال الدهر يتقلب بين اليسر والعسر ويتلوّن تلوّن الحرباء ويتغير تغير الماء في الاناء يصبح السعيد شقيا والشيطان تقيا والفقير غنيا والغني حقيرا غبيا فلله الدوام والشكر على هذا الانعام

فقال زوجها مخاطبا ولده وهو ملازم صمته ونكده ياولدي اصفح عن زلتي وفظيع غلطتي انني كنت في غرور لتقلبي بين النعم والسرار والقصور وزين لي الشيطان الرّجيم ما لا يرضاه الرب الرّحيم وهذا ما صيرني ذليلا ولولا لطفه لأصبحت قتيلا فاعف عني ما أردت واصفح اذا شئت

واذا استقالك ذو الاساءة عثرة فأقله ان ثواب ذلك أوسع

وبعدها سأله ابنه يا أبتي أين كنت وأي شيء من هذه الدنيا رمت قد مضى على فتوح الله علىّ الأشهر والأعوام فلو كنت في هذه البلدة لكنت عرفتنا ونلت المنى والمرام فالتفت والده اليه رادّا عليه

اعلم ياولدي البار ويا نخبة الصالحين والأبرار إنني كنت في عز ورفاهية وصحة وسرور وأوقات صافية وكان والدي يلقي الىّ الجواهر والدرر والنصائح الفريدة الغرر فكنت عند سماعها أصم آذاني حتى ان الدهر قد هذّبني وربّاني وما عرفت قيمة فعلي في زمن غباوتي وجهلي إلا بمرور الأيام ويقظتي وسهري والناس نيام انني ياولدي كنت أواخي من لهم هواي يميل وأبذل أموالي عليهم كالصديق الخليل وهم لي محبون ويظهرون انهم لي خادمون

حتى عند ظهور بشائر الفقر رأيت منهم السخط والشر والابتعاد والنفور بعد التبسم واظهار السرور وحينما أكون كالعليل يقولون لأنفسهم ابتعدوا عن هذا الثقيل وفي حال اليسر كانوا لكلامي صاغين ولحديثي وأقوالي صامتين وأما في حال العسر فكانوا لكلامي مسفهين ولحديثي وأقوالي مجتنبين مبتعدين

(واذا الصديق رأيته متملقا فهو العدو وحقه يتجنب)
(لا خير في ودّ امرئ متملق حلو اللسان وقلبه يتلهب)
(يلقاك يحلف انه بك واثق واذا توارى عنك فهو العقرب)

واعلم يا ولدي أن والدي قد أبعدني عن الديار وغربني عن الامصار لما فيها من لذة الانفراد وترك القبائح والفساد ثم روى له ما كان منه ومن أبيه بينما كان شابا والزمان يطغيه وبعدها أن وبكى وتضجر واشتكى وتذكر هجر أبيه وأمه وتركه أقاربه ومن هم من نسله ودمه ثم سكت وتضجر وبعدها عاد الى السكون وتفكر ترك والده البار الذي تحمل من أجله التعب والمضار ووالدته الشفوقة الرحيمة الحنونة الكريمة وعندها ازداد به البكاء كأنه حلّ به البلاء والشقاء هذا ما كان من أمره وما مضى من أيام حياته وعمره

***

وأما ما كان من أبويه فانهما قد لازما البكاء عليه وصارا منتظرين أي كتاب سار لأنهما لم يستنشقا عنه الاخبار منذ كاتبهما وهو في الغربة جديد وتحمل المشقات وهو فيها وحيد فلما طال أمد الانتظار ولم ترد خطابات من هذا الولد البار أرسل اليه من والده كتاب مشتمل على التأنيب والعتاب لعدم سؤاله بخيفة يخبره فيها عن صحته وعن أحواله وكيفية معيشته ليطمئن عليه هو الوالدة التي حرمت جلوسها على المائدة لعدم الوقوف على أخباره وكيفية معاملته وأخلاقه وأطواره وبعد أن أرسل الكتاب المذكور انتظر

الرد بضعة شهور فلم يرد شئ قط حتى ولا مذكرة فقط فأرسل جوابا آخر وانتظر الرد أيضا فتأخر وكان مسطر به ماهو آت بخلاف التحيات والتسليمات

(كتبت اليك من شوقي كتابا فعجل بالجواب اذا أتاك)
(وصف لي كل حال أنت فيه كأني حين أنظره أراك)
(فلا عيني تساعدني فأبكي ولا قلبي يحنّ الى سواك)
(كتبت اليك تشهد لي دموعي بأن الروح شاهدت الهلاك)

ولما لم يجبه على هذا الخطاب ولده ازداد همه ونكده وكثر كربه واشتد لهبه ثم عزره بثالث لمعرفة ما قد حصل من الحوادث ووضع فيه طوابع البريد ورجاه كثيرا أن يرد عليه لأنه في شوق شديد وانتظر الرد فلم يرد عليه وأخيرا سافر اليه وبحث عنه مدة في تلك البلدة فلم يقف له على أثر ولم يستدل على خبر فسأل المصلحة التي تعين فيها فأجابته برفته لأنه سار سيرة لا ترضيها فسألها أيضا عن الجهة التي هو فيها الآن فلم يفده أي انسان فأجرى البحث عنه في المدن والأقطار فلم يرد عنه شئ من الاخبار فكلف الصيادين بالبحث عن جثته حيث قد فقدت قوته وبطلت همته وثبطت عزيمته فلم يعثروا عليها بالكلية في تلك الأوقات الحالية وأخيرا عاد الى بلده وأخبر زوجته بفقده

فقالت له يا سليمان لقد جئتنا بصفقة الحرمان لقد دفنت منا الجنان وأحرقت أحشاءنا بالنيران أين ولدي أين أين هو يا غراب البين هل كنت تحسب ان عبد اللطيف ولدك عزرائيل يقبض روحك أو كنت تخشى من وجوده الفقر وتحرم من المرتب والأجر فيضيق الله عليك ويفقد ما في يديك

ولدي مهجة قلبي ثمرة فؤادي أين أرسلته والى أي خطر عرّضته احضر لي ابني ماهذا السكوت لم تجبني ثم مسكت في ثيابه فغاب عن رشده وصوابه ولما أفاق قال لها سكني روعك ولا تسكبي دمعك ولا تشغلي

بالك ولاتفكرى فى ذلك فانه على قيد الحياه وانما مشغول باللهو فى دنياه وان شاء الله يحضر بالسلامة وتبلغين به أسمى العز والكرامة فسكتت حينا من الدهر ولما لم يحضر عادت الى ما كانت عليه من الحزن والضجر على فراق ابنها وغياب رشدها

وعند حضور زوجها عادت وأشارت وبعلو صوتها قالت ابنى عبد اللطيف لابد قسمات واقتضته هاذم اللذات لابد قد قضى نحبه ولقى ربه وانتهى أجله وانصرم أمله وعمله لابد وانه اقتطفته يد المنون وقد حال بينى وبين ثمرة قلبى هذا الدهر الخؤون ويلاه ويلاه واخيبتاه مات غريبا مات فريدا وحيدا من كفنه من حمله وشيعه أين دفن انه لما أسوأ هذا الزمن ثم بكت كثيرا ولم تجدها نصيرا ثم أنشدت وقالت وعبراتها هطلت وسالت

آه من موت غريب لم يجد ... مؤنسا يشكو اليه الحزنا
قرة العين حبيبى ولدى ... فرق الدهر كذا ما بيننا
بعد بعدى منك يانور الحشا ... ما رأت عيناى شيئا حسنا
حكم الله علينا بالنوى ... فله الحكم جهارا علنا
ولقد أرجو الذى فرقنا ... فى جنان الخلد أن يجمعنا

وبعد سكوتها أجابها زوجها ياسيدتى اعلمى بان الآجال محدودة والاعمار معدودة وكل نفس بما كسبت موعودة فياصاحبة الخصال المحمودة قللى من الهموم ولاتجزعى من مذاق السموم فان القضاء مبرم والقدر محتم

***

وبعد اليأس والقنوط صارت الأحزان تقل وتسير فى دور الهبوط ورزقها الجواد الفتاح على العباد بولد رقيق سماه أبو محمد شفيق وبعد ان كبر أرسله الى الكتاب ليتعلم فيه الخط والحساب ويحفظ القرآن ويعبد الرحمن وصار يدعو له بالفتوح والهداية ويغنيه بما فيه الكفاية فاجتهد الولد فى

تحصيل العلوم والمعارف وحفظ الدروس والطرائف وتربى تربية عظيمة وسار سيرة مستقيمة حتى صار معدودا فى صف الأدباء والعلماء النبلاء وقد كانت أمّه تمنعه من الذهاب الى المكتب خوفا من أن يسمعه المعلم كلمة تخالف الأدب أو يوبخه بكلمة لعدم حفظ الدرس فوق ازهاق الروح والنفس وكانت تعد هذا المكتب سجنا لولدها أو قبرا يدفن فيه وتشاهده بعينها والولد ما كان يصغى لكلام أمّه خوفا من حصول ضرب أولومه إمّا من الاستاذ أو الوالد أو المتعلمين أو يحرم فيما بعد من مجالسة هؤلاء المهذبين وصار يجد ويبذل الجهد حتى فتح الله عليه من فضله وصار فى مقدمة أبناء جنسه وبلده وبعدها أدخله أبوه المدارس العالية وأتاه بالملابس الغالية وأحضر له الكتب وجاد بما يملكه من الذهب لتلقى هذه الفرائد وحفظ ما يلقى اليه من الفوائد ولما أتم العلوم وأحسنها وأعاد الدروس وتلقنها وحاز الدرجة العليا ونال الشهادة القصوى

انتظم فى سلك الحكام وأحسن الله اليه بالختام فكان منفذ القول والاشارات مقضى الحاجات الخدم جالسون على الأبواب كذلك الفرّاشون والحجاب وكلهم فى غاية الاستعداد لقضاء الشئ المراد

وكان هذا الحاكم عدلا فى القضاء يؤدّب الأشقياء ويفرّج عن الأبرياء ويأخذ بالقصاص لمن حلّ بهم البلاء ونفذ فيهم سهم القضاء وعند الاستراحة من العمل والعناء يتوجه فى أوقات الصفاء لترويض النفس والبال ملازما اخوانه ذوى المهابة والاجلال ويستنشقون الهواء العليل ويتحدثون بالفكاهات والتمثيل ويعودون العليل ويسامرون الخليل ويساعدون الفقير الذليل ويعبدون الله الجليل

وبعد مرور بضعة أشهر وأيام تحدث مع والده بلين الكلام ورجاه أن يسمح له بالزواج فأجاب بالامتثال خوف الاعوجاج وخوف عدوله أيضا عن

جادة الحق والصواب ومخالفة الملك الوهاب وفكر فيمن تكون عريقة الأصل كريمة النسب والفصل

وبعدها أجابه ياولدى الأوفق أن تتزوج بأخت أحد القضاه فعندما سمع ذلك ولده أظهر سروره ورضاه لانهم أمثاله فى المنزلة والدرجة وأسلم عاقبة فى تلك الأوقات الحرجة وحتى تكون هذه الزوجة موافقة لطباعه وخصاله خصوصا وانها متعلمة وفق أميال ومؤدبة طوع رغبته وأقواله وتقتدى بأعماله وأفعاله وبذلك يحظى بالسعادة والرضاء ويصرف أوقاته فى الصفاء والهناء وبعدان اتفقا على ذلك خابرا أحد القضاة فيها هنالك فأوعد بالقبول والامتثال وأظهر الرغبة فى الحال وقد تحققت الآمال بقدوم الفرح والاقبال والحظ والتهانى وبلوغ الرغبة والأمانى

وأمّل شفيق بان السعادة ستكون خادمة لأبوابه متملكة على أعتابه وبعدها يعيش مهنأ البال غير محتاج الى أموال يأتيه الهناء باسمائهره حتى يقر عينيه ويشرح صدره ويظهر له السرور ابتسامه ويملكه زمامه فيرتع فى ميدان السعادة ويتسابق فى بحبوحة الكمال والسيادة وبالنهاية يبلغ مايتمنى ويبتغى ويدرك مافى أمانيه ويجتنى

***

هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر والدته فانها كلما تسمع بزواج ولدها الثانى الشريف تبكى على فقد ولدها الاول عبد اللطيف وتقول الهمّ قد أعجزنى وأعيانى والمرض أنحل جسمى وأضنانى وشاغل الفكر أخرسنى وألجم لسانى والدهر أدّبنى وربّانى وفراق ولدى زاد بلوتى وأسقامى فلا الفكر ينسانى مدى الأزمان وبعد ذلك تتنهد وتبكى والى زوجها الكريم تلق

أما تعرف ان النساء ناقصات العقل والدين أما تعرف انه

الشياطين أما تعرف انهنّ أصل كل بلاء أما تعرف انهنّ يجلبن السخط والشقاء أما تعرف ان كلامهنّ يعدي ونصيحتهنّ لا تجدي أما تعرف ان مشورتهنّ فاسدة وأعينهن حاسدة ألا تعرف كل ذلك ان جميع أحزاني هي نتيجة اهمالك

وبعد انتظار برهة تعيد الكلام فتقول وعن نظر زوجها لا تلتفت ولا تحول ان قلة عقلي هي التي أماتت الآن أملي لو كان تربى كأخيه لحصل ما ترتجيه وزال عني أيضا التعب ببلوغ أسمى الرتب كنت أبكي على تعليمه ولا أدري ان نتيجة تعبه هو توقيره وتعظيمه بتفضلي وشفقتي أورثتني ندامتي وحسرتي قلة تربيته أبعدتني عن مشاهدته

ولدي لقد سألت عنك قلبي فدل بأنه لا يتكلم ولا يدري فسألت عنك سريرتي فلم تفدني عن رغبتي فسألت فكري فأجاب بأنه لا يعلم ولا يدري فلا إله إلا الله ولا دائم سواه وصارت تبكي بكاء شديدا وتتنهد تنهيدا ثم قالت من قلب وقدت جمرته واستحكمت شكيمته

لو كنت أكتب ما ألقاه من قلقي ومن غرامي ومن وجدي ومن حرقي
لم يبق في الارض لا لوح ولا قلم ولا مداد ولا شئ من الورق

أياعقلي أجبني على عجل ليطمئن فؤادي وأبلغ مرادي ويا رشدي ارجع الىّ قوّتي وجهدي وحدّثني بما هو غرضي وما يفيدني وما يجدي أين ولدي ولدي ولدي

أياعيوني أأنت مشاهدة جنوني اللهم لا حول ولا قوّة إلا بالله اللهم ألهمني صبرا جميلا كما تحبه وترضاه لقد فقدت مني الحواس وصرت الآن سكرى من غير كاس أين فهمي فيدلني على حقيقة وهمي أين عالي فكنت أخبره بأحوالي أين لساني المجرم الجاني فيكرر لي ما تفوّهت به بالثاني

مهلا مهلا أيها السمع اني أعلم انك الآن لا تنصت لهذا الجزع مهلا مهلا يا دمي

أراك تهرب ولا يردك ندمى صبرا أيتها الأحزان صبرا أيتها الأكدار والأشجان لقد أذهبت لحمى وقلصت جلدى وشتت عقلى وأفقدت بصرى وفتت عظمى وأذبت كبدى على فراق ولدى فلا حول ولا قوة إلا بالله

أسألك يا مولاى أن تبلغنى سؤلى ومنائى بمشاهدة ولدى قبل الموت وفقد الحركة والصوت وملازمة السكوت وهجر القوت انك سميع قريب وللدعوات مجيب

وبعد ان مضى حين من الدهر ولم يصلها أى خبر عن جوهرة قلبها وثمرة فؤادها وكنز عقلها وحياتها وروحها قالت لزوجها بعظيم صوتها

انى أستودعك الله انى متوجهة الى لقياه لقد نفد منى الصبر وضاق الصدر وسئم القلب وأحس بالمنقلب لقد احترق كبدى على فقد ولدى فعسى الله أن يجمعنا فى دار الآخرة ويرحمنا من هذه الدار الغادرة الخائنة الساحرة دار البلاء والأكدار دار المتاعب والمضار دار الفراق دار الذل والشقاق دار حلوها مر وجمعها فراق وهجر دار عزها خيال زائل وحسنها ضلال وباطل دار ساكنها الشقاء مبتعد عنها الصفاء

الآن قاصدة وجه الرحمن قاصدة أيام آملة فى اكرامى وحسن مثواه وسأتوجه أولا بنفسى الى تلك البلد التى كان فيها الولد عسى أن اجده فيطيب فؤادى ويتم مرادى فلا تشمت الأعادى وتفرح حسادى والسلام عليكم

ثم لبست أثوابها وتأهبت للذهاب فخاطبها سليمان وهى واقفة على الباب مهلا يا سيدتى أين الآن تقصدين والى أى مكان تتوجهين فهل تعرفين تلك البلد التى ألبستنا جلباب النكد أما تعتبرين بولدك أأنت فاقدة الآن لرشدك أما عرفت انه دخلها ولدك فارجع ولا أحد به سمع حتى ولم يعرف أحد مقره أما اتخذت من كل ذلك عبرة ألا تميزين بين المسرة والمضرة أتريدين محاربتى بسيف الأهوال التى هى أحد من النصال أتريدين موتى واضمحلال قوتى

أتريدين أن أفترش بساط الأكدار من قبل أن تحل الاقدار أتريدين ادخالى القبر بدون أن ينتهى منى العمر

مهلا ياسيدتى فان الفرج قريب وسرّ الاله عجيب عسى أن يزيل كربتنا وتعود الينا همتنا وقوتنا

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فقالت اسمع أيها السيد السعيد لاأود أن تكون برجل عنيد ولا بشيطان مريد سألقى الآن عليك كلمة وبعدها لاأريد منك أى جملة سأتوجه الى محل ماأريد وبعدها لاتنطق فأنى لاأعيد ولا أفيد انى أعرف بيقين ان خروجى خطب شديد وان كلامك سديد ولكنى سأختار لى احدى اثنتين فان فيهما احدى الرّاحتين أما اللقاء أو الشقاء والسلام

ثم خرجت فنعها وأوقفها وحجزها وقال لها ياسيدتى انى أذكرك بكلمة قلتها وقد صرّحت علنا بها أما قلت ان النساء شياطين أما قلت انهنّ ناقصات العقل والدين الى أين الآن تذهبين وفى أى مكان تحلين وتقطنين فدفعته بيديها وصرخت واستغاثت بالجيران وولولت فابتعد عنها ولم يقترب منها ثم قال لها

ان ولدك قاض فلا تذبحيه بسيف ماض كيف تخرجين وحدك بدون أن يكون رفيق معك وكيف تخرجين الى بلدة ليس فيها أقارب ولا أحباب ولا معارف ولا أصحاب وكيف تسيرين وأنت على الحركة لاتقدرين سيما وانى أعرف بيقين ان ذلك الولد اللعين سبب هذا الشقاء والكدر والبلاء ليس فى تلك البلد وليس فيها أيضا أحد يرشدك عما فى ضميرك فلا تهجرى بيتك وسريرك لانى قد بحثت بحثا دقيقا فلم أجده ولم أجد فيها رفيقا فالآن ذهابك لايفيد سوى تعبك الشديد واشتغال بالنا واشتعال نار قلوبنا فعودى عن فكرك السخيف الضعيف يا أم عبد اللطيف وامكثى بلا تعب

فان خروجك عار والنار عندى ولا العار والشنار خصوصا وأنا رجل مستور وولدك حاكم مشهور فلا تفضحينا فى آخر الازمان ولا تحرقينا بالنيران والله ولى الصابرين يفرّج هم المكروبين

يا لطيفا بخلقه أنت تعطى وتمنع
قد تحيرت سيدى دلنى كيف أصنع
سألتك يا إلهى أن ترينا وجهه عن قريب انك سميع مجيب

***

فقعدت السيدة تبكى ولكن فى وقت الفجر خفية خرجت ولتلك البلدة عزمت وبعدان كابدت المشقات وقطعت الشوارع والحارات استأجرت عربة لتوصيلها الى محل ذهابها وبعد مضى زمن طويل وهى آخذة فى البكاء والعويل أوصلتها العربة الى البلد وهى فى أشد ما يكون من النكد وبعدها نزلت والى الاسواق قصدت وصارت تتلفت ذات اليمين وذات الشمال وهى فى أسوأ الأحوال فلم تجد ولدها فخابت آمالها فقعدت تستريح وقلبها جريح وبعدها قامت ثم رجعت فنامت ولما تيقظت صارت تطوف حول الأهالى مكابدة شدة الأهوال فعرف الناس انها مجنونه وقالوا عليها مجذوبة معتوهه وهى تقعد وتقوم ولا تذوق لذيذ النوم الى ان ساعدتها المقادير وانطرحت بجوار منزل الأمير ومن كثرة البكاء والتعب وما شاهدته من الأهوال والنصب أخذتها سنة من النوم فنامت طول ذلك اليوم

وفى وقت الأصيل خرج من هذا المنزل الجليل السيد عبد اللطيف وولده الأمجد السيد أحمد بقصد الرياضة واستنشاق الهواء فى الأمكنة الخضراء وبعدان خرجا من الباب رأيا تلك المسكينة وحولها الكلاب فظنا بأنها ميتة وخشيا أن تأكلها الذئاب فعزما على أن يواريا التراب ثم نبهاها أولا من غفلتها وأيقظاها من رقدتها ففتحت عينها وسال دمعها فسألاها عن

حالها فقالت انها غريبة وحضرت لتبحث عن ولدها ثم بكت وتأوهت وتنهدت فعندما سمع عبد اللطيف صوتها عرف انه ولدها فقال (أمّي) فغاب عنها صوابها وضاع رشدها وهو أيضا سقط امامها حين شاهد حالها وما ألمّ بها

وبعد ان رش على وجهيهما الماء وسقيا من ذلك الأناء أفاقا بعد الشدة وبعد ان مضت من الزمن مدة فأدخلا المنزل للارتياح وبعد قليل علا منهما البكاء والصياح

(والشمع يبكي فما أدري أعبرته من حرقة النار أم من فرقة العسل)

فأعيد رش الماء عليهما فأفاق كل منهما فقبلت الوالدة ولدها وهو قبل يديها وطلب منها العفو والسماح حيث التقيا وجادت الاوقات بالافراح فعفت عنه ثم طلبت منه أن يبعث رسولا لولده في الحال ليطمئن حيث انه قد جنّ عند خروجها واهتمامها بذهابها فأرسل الرسول سريعا ووالده كان على فراش الاحزان ضجيعا ولما ان جاءته البشرى بنيل المأمول صار عقله في ذهول وصار بين مصدق ومكذب ولازمته الحيرة والتعجب ثم توجه الوالد معه توًّا وقصدا الذهاب الى ولده فورا وبعد ان وصلا البلد سأل الوالد الاهالي عن محل اقامة الولد فضلا عن وجود الرفيق وارشاده الى الطريق ليتحقق صدق ما قال ويتيقن نيل الآمال فأرشدوه عن ذلك المنزل المشيد والبنيان المتقن الجيد فظن انهم به مستهزئون ضاحكون ساخرون حيث قد فتش عليه مرارا فلم يجده وصار يبحث عنه فلم يشاهده ولم يجد من اليه يرشده ولا من يدله عنه ويساعده

***

ثم دخل القصر بقلب جسور وهو على الاهوال جلد صبور فقابله ولده الشريف السيد عبد اللطيف وقبل يديه الكريمتين وكذلك مواطئ

القدمين ثم طلب منه الصفح عما مضى والدعاء له والرضا فعفا عنه ثم طلب منه أن يخاطب شقيقه فامتثل وعلى حسب اشارة أبيه قد فعل

فخصر هذا الاخ الكريم والصديق المخلص الحميم وقد انتظره خارج البلدة لئلا يقاسي في حضوره الشدة لعدم معرفة المنزل الذي يقطنه والمحل الذي يسكنه وعند حضوره قابله مقابلة عظيمة وحياه بتحيات كريمة ثم وصلا المنزل فطابت لذة الانشراح باللقاء والهناء والارتياح ولبثوا يستريحون وتارة يبكون ثم يتحدثون

فقال سليمان لولده عبد اللطيف أظنه منعك أيها الظريف من مخاطبة والدك عن صحتك ومحل اقامتك فتوح الله عليك وكثرة نعمه لديك ما رأيت أقسى منك قلبا ونحن نتلظى على فراقك لهبا خصوصا وقد أرسلت اليك الخطابات فلم تجبني عليها وأنت منهمك في اللذات والشهوات

بسببك فقدنا لذيذ النوم وشهية الطعام بسببك حلت بنا الاسقام بسببك كنا في زعل وكمد وأنت طيب الخاطر في هذه البلد ولم لم تجب لندائي حين حضرت اليك لأفتش عليك وأنا كنت حيرانا تائها سكرانا ولم يرشدني عنك أحد حتى صرت في كبد وكأني والد بلا ولد وضاقت نفسي في هذا الصدد

الهموم تشعبتني والغموم تقسمتني وأطالت ليلي وأطارت الرقاد عن عيني وطالما سبتني كثيرا والدتك من أجلك وكادت تفقد أعيني ويختل عقلي وتمزق أحشاء قلبي لولا لطف الله الكريم الرؤف الرحيم

***

فرد عليه ولده بالرأفه وقال يا أبتي أنت حليم وذو شفقه اعلم ان قصتي غريبة مدهشة عجيبة ثم أخذ يبكي ودموعه تتساقط وتجري وبعدها قال

آها من السيئات بل آها أوجعن قلبي فصرت أوّاها

قمت مقام الذليل أندبها وهكذا دأب من عصى الله

اعلم يا والدي الصبور متعك الله بالعز والسرور انني خرجت من هذه البلدة هاربا والى غيرها صرت طالبا خوف حضورك الينا أو اعتراضك علينا في عدم اخبارك أو احاطة علم جنابك بمسألة زواجي وليس لديك به خبر فيحصل عندك النكد والكدر ويثور غضبك ويتغير علي قلبك حيث ان ذلك لا يليق بدون حضورك أيها الوالد الشفيق ولكن هذا ما سبق به القلم ولا علم لنا بما في الأزل والقدم

فقصدت بلدة ثانية لأني وجدت اللذة في الاغتراب والراحة مع من فيها من الاحباب ولأتمتع أيضا بمناظرة الطبيعة وبعجائبها البديعة وبعد ان وصلتها سرت فيها لمعرفة طرقها وعادات أهلها ثم سألت أحد الناس عن غرفة للسكن فأجاب بالطوع وصرت عليه أرتكن وبعدها أرشدني عن منزل لأخيه فوضعت ملابسي وكل أشيائي فيه ثم خرجت لأبحث لي عن محل لائق كيلا يظن الناس انني لص سارق أو شخص مارق أو عبد آبق أو مجرم منافق حتى جاد الله بوظيفة ترضي حسب رغبتي وغرضي فحمدت الله كثيرا على هذا الانعام واكرامي في تلك البلدة غاية الاكرام وسرت فيها سيرا حميدا فأحبني كل الناس وصاروا يمجدونني تمجيدا وكنت أواظب أيضا على المواعيد وأقضي لكل طالب ما يريد ولا أؤخر عمل اليوم للغد أو أتجاوز في شئ احد وبذلك تحصلت على رضا الاخوان وميلهم الي ومساعدتهم لي في كل آن وبعد ان أفرغ من أعمالي أزامل أمثالي فنتجالس سويا ونتحدث مليا ونقص الحكايات ونطالع الروايات وبعدها ينصرف كل منا الى محل ما يريد وأنا يا والدي السعيد كنت أتوجه المنزل وأرتب أدواته وأنظف محلاته حتى يكون في غاية النظام وبعدها أتناول الطعام ثم أتوجه المسجد لأتعبد وبعد ذلك أرجع قافلا الى البيت للراحة والمبيت وهكذا كانت أفعالي في كل أحوالي

فصرت أرى من الاهالى كل لين وحب متين اذا طلبت من أحد شيئا يقضى فى الحال بدون امهال وقد وجه الله قلوبهم الىّ وثناءهم علىّ وأنا صرت أخدم كل طالب حاجة وأساعد البؤساء والفقيرة المحتاجة وعشت على هذا المنوال وأنا فى هناء البال

وبعدها تذكرت الزوجة والولد فحصل عندى بسببهما ونكد لما قد فات ومضى وانتهى وانقضى لان هجرى تلك البلدة كان أيضا بسببهما ولكننى أخيرا ندمت على فراقهما وكنت أتوهم ان مرتبى ضئيل وقد يصرف عليهما فى شئ قليل وبعدها نستدين الى آخر الشهر ثم نسدد الدين بكل المرتب والأجر فنقعد خالين الوفاض بادين الانفاض ان شحذنا فلا يليق وينفر منا كل صديق ورفيق وما كنت أظن أيضا ان الارزاق تلازم الارواح ملازمة الظل للأشباح فى الغدو والرواح والمساء والصباح وقد تولدت عندى مشاغل البال والتعب والملال فرضت أياما وشاغل الفكر لازمنى دواما كيف أترك زوجتى وحيدة بغير أن أراعيها وكيف أتركها بدون أن أراضيها وكيف أهجرها كل هذا الزمن الطويل وكيف أترك ولدى الضعيف النحيل ثم تذكرت أيضا فراقكم وعدم إلمامى بأحوالكم فتزايدت عندى نيران الغضب من شدة التعب واضطرب بالى واضمحل حالى فصرت لا أقدر على القيام والقعود ولا على الركوع والسجود

وبعدها حضر لى أحد اخوانى يزورنى ويرانى ويعودنى فسألنى عن السبب فأخبرته بما أنا فيه من شدة العطب فأخذنى فى حديقة لطيفة الازهار حلوة الاثمار بديعة الانوار كثيرة الاشجار شذاها عبقرى وبساط أرضها سندسى فمكثت فيها مستريحا بعد ان كنت فى الدار طريحا وصرت أستنشق منها الزهور وأشاهد فيها البدور فضاع منى الوهم وابتعد عنى الفكر والهم وبعدها أردت الذهاب فحجزنى أحد الأصحاب وأعز الاحباب

لتناول الطعام والشراب وبعد قليل أحضرت مائدة كبيرة وعليها من الاطعمة أنواع كثيرة وعليها أيضا بعض زجاجات ملأى بالخمر وحولها كاسات من البلور وقد حضرت أيضا على المائدة سيدة أنيسه كلامها عذب وحديثها حلو وأقوالها نفيسه ولما مدت المائدة دنوت منها للاضطرار وجبيني مقطب بالاحمرار من كثرة الخجل وخشيت الامتناع خوف السؤم والملل أو حصول كدر أو زعل فتناولت بعض الطعام والسيدة تحدثني وأنا خصوصا بطيب الكلام

وقالت في الدفعة المقبلة عليك باحضار مثل هذا الطعام بأكمله واشترطت بمثل ذلك أيضا على الحاضرين من الاخوان المحبين فأجبنا بالقبول والطاعة وهي عينت لكل منا الوقت والساعة فامتثلنا كلنا بأجمعنا وانا عند حلول الميعاد أحضرت كل شيء على تمام الاستعداد ومن بعد ذلك سلوت الأفكار وما مضى من الحزن والاكدار

وصرت أجتمع مع السيدة في كل آن وهي صارت أيضا ترافقني في كل مكان وتحدثني بكلامها الرقيق واتخذتني لها أعز صديق حتى اذا غبت عنها برهة أراها في الانتظار كأنها ليس لديها جلد للاصطبار فاذا حضرت تنشدني الاشعار وتقول لي قد حلت الأنوار وقد سمعتها قالت وبكلامها العذب فاهت

(منذ غبت أوحشت جميع الورى ... إلا أنا منذ غبت آنستني)
(سكنت في القلب فلا ينبغي ... أن يقال للساكن أوحشتني)

وتمكنت منا الصداقة والحب المتين فكنت في عملي يغيب عني عقلي لبعدها عني في هذا الوقت والحين

وصرت يا والدي أشتغل بغير عقل حتى أوقعني الجهل في شر الأعمال وأخبث الاشغال

(ومن عاش في الدنيا فلا بد أن يرى ... من العيش ما يصفو وما يتكدر)

ثم علم بخطائى رئيس المصلحة فطردنى وأخرجنى منها ورفتنى فتوجهت الى تلك السيدة وأخبرتها بحالى وما كان من أفعالى وبعد ان سمعت كلامى وفهمت حديثى رأيتها ابتعدت ونفرت وبعلو صوتها شتمت ثم طردت فانتظرت خارج المصلحة أحد الاخوان وكان أعزهم لى رفيقا من الاخدان ولما رآنى وجهه عبس فصافحته بيدى فالمس فخاطبته فاهمس فاقتربت منه فرفس فتوجهت الى اخوانى بأجمعهم ففعلوا بمثل ما فعل معى أولهم فتأوّه من ذلك والده وقال يا ولدى

اذا ما الخل لم يحفظ ثلاثا فبعه ولو بكف من رماد
وفاء للعهود وبذل مال وكتمان السرائر فى الفؤاد

فأتم عبد اللطيف حديثه فقال معبرا عما شاهده من الاهوال انى أردت ان أخرج من تلك البلدة فحجز صاحب الدار الأثاث نظير الاجرة فاضطررت لبيعه وقد بيع بثمن بخس فى هذا الوقت طالع النحس ثم دفعت قيمة ما علىّ وتبقى لى جزء يسير فأحضرت به طعاما وأنا فى حالة السعير وبعدها فرغ ما كان معى وكتب علىّ اسم الذليل الشقى فصرت بعد الغنى فقيرا وبعد الكمال حقيرا

مددت يدى للسؤال بعد ان كانت تجود بالنوال ذلت نفسى وسئم قلبى وضعف جسدى وكثرتعبى مددت يدى لما اشتدّ بى الجوع والتهبت النار بين الضلوع فصرت أرى الاهانة لا أرى أسبابها غير ان النوائب حكمت أنيابها أطوف فى الطرق وقلبى محترق فلا رحيم لى يرأف بل بلسانه يسب ويقذف صرت مبتذلا بين الرجال كأننى نذل من الانذال وقصارى القول رأيت من الذل أصنافا ومن الهوان أضعافا فمنيت العيش الكفاف كما تمنى ذو القناعة والعفاف

(لكسرة من جريش الخبز تشبعنى وجرعة من قراح الماء ترويني)

(وخرقة من غليظ الثوب تسترنى حيا وان مت تكفينى لتكفينى)

***

ثم حضرت لتلك البلدة لأرى زوجتى فتشفى مهجتى وقبل ان أبحث عنها وأتوجه اليها رأيت ان أسأل شيئا من هذه السراى السنية لأخذه معى لزوجتى كهدية فكانت هى القصد المطلوب والامل المرغوب ثم روى له ما كان منه فقال والده ياولدى ويابهجة قلبى وفلذة كبدى

ان عضك الدهر يوما فانتظر فرجا ودار وقتك من حين الى حين

ولا تعاند اذا أصبحت فى كدر فانما أنت من ماء ومن طين

ياولدى قد مضى مامضى وانقضى ماجاء به القضا والحمد لله الذى من علينا بالتلاق وجمعنا بعد الفراق فأسأله تعالى حسن الختام والرضا منه على الدوام

اعلم ياولدى بأن الدهر نقض مرّتى وألان عريكتى وشمس حياتى أفلت وزهرة أجلى ذبلت وهكذا كل من عليها فان ولا يبقى سوى الرحمن

ياولدى تقلبت عليك الازمان وأذاقتك من السرور والاحزان فلا تضجر اذا هجمت صنادید القدر فانه لا يمكنك أن تهرب منها أو تتحوّل عنها فاذا صبرت جزيت وشكرت واذا جزعت وأجهشت كفرت ومقت

اعلم بأن ماحلّ بك هو نتيجة عدم تربيتك هو من مخالفتك لاشارتى وعدم اتباع نصيحتى ومشورتى فكفى ماوقع لك درسا اليك

ياولدى أنت تعرف انه أفندنى الكبر والشيب منى قد ظهر وانتشر واحدودب منى الظهر وأكل وشرب علىّ الدهر فاحفظ منى أقوالا بها يرتاح بالك وتستقيم أحوالك ولا تخالفنى فقد جرّبت العواقب وما حلّ بك من المصائب اعلم انى أشفق عليك وأنا أشفق الناس وأرحم لك فاترك الوسواس الخناس واعلم بان أقوالى الاخيرة هى أنفس ذخيرة ان حفظتها دامت سلامتك وعزت كرامتك وارتفعت درجتك وسمت منزلتك وان نبذتها

ذقت العدم ولاينفعك الندم فأحب أن تتعمد مبرّتى وتحرى مسرّتى والله يهديك الفلاح ويكلل أعمالك بالنجاح

ذقت الفقر فاعلم

ان الفقير حقير وان وهبت له الفصاحة والآداب والحسب
فاجعل لنفسك مالا تستعين به فالمال يفعل مالا يفعل النسب

كنت تخشى الفقر فهربت فاعلم بأن الرزق مقسوم والحريص محروم

(مثل الرزق الذى تطلبه مثل الظل الذى يمشى معك)
(أنت لا تدركه مستعجلا واذا وليت عنه تبعك)

ياولدى أفضل الفضائل فى صيانة العرض عن الرذائل فكن صحيح النية سليم الطوية حسن السمعة والسيرة خالص الضمير والسريرة فعنوان المرء أعماله وحليته آدابه وكماله وصديق المرء عقله وعدوّه جهله ياولدى بعض الاحسان حلاوة اللسان ودين الكرام لين الكلام واعلم بان حجاب الآفات الحلم وباب المسرات العلم وانه ليس بانسان من لم يكن له اخوان اعلم أيضا بأن الموت ليس ببعيد بل هو أقرب من حبل الوريد فلا تضمن حياتك لحة ولا تملك لها منحة

أوصيك أن لا ترتجل برأيك لكبر سنك فانه لا خاب من استخار ولا ندم من استشار أوصيك بأن لا تقدم على الامور المريبة وتحمل نفسك على ارتكاب المعاطب المهلكة

ياولدى

احرص على حفظ القلوب من الأذى فرجوعها بعد التنافر يصعب
ان القلوب اذا تنافر ودّها مثل الزجاجة كسرها لا يشعب

ياولدى

ما حلّ جلدك مثل ظفرك فتولّ أنت صلاح أمرك

ياولدى

ولاتحتقر كيد الضعيف فربما تموت الأفاعى من سموم العقارب

فرد عليه ابنه وقال ياأبتى ياذا الفضل والكمال

ما كان قصدى أن أكون كما ترى ولكننى راض بما حكم الدهر

فان كانت الأيام خانت عهودنا فأنى بها راض ولكنها قهر

وما هذه الأيام إلا عجيبة ينال بها نذل ويشقى بها حر

ياوالدى أراك تنصحنى كالأطفال أوكجاهل من الجهال ألا يكفيك ما حملته من أثقل الاحمال وما كابدته من ارتكاب الاهوال ألا يكفيك ماأنافيه من الخجل حتى تذيقنى كأس الملل ألا يكفيك مارأيت وماشاهدت وقاسيت ثم فاضت دموعه وانسكبت واستبقت عبراته وهطلت

فقال له أبوه ياولدى

كن عن همومك معرضا وكل الأمور الى القضا

وابشر بخير عاجل تنسى به ماقد مضى

فلربَّ أمر مسخط لك فى عواقبه الرّضا

أنت ياولدى ولدى فاذا كنت لاأوصيك فمن بعدى يهديك واذا كنت لاأنصحك فمن الناصح غير الدهر الفاضح واذا كنت لاأؤدبك فلاشك ان الازمان تؤدبك فاذا كنت لاتقبل منى الكلام فعليك ياولدى السلام

فرد عليه ابنه وأجاب بكل احترام وآداب ياأبتى معاذالله أن أخلع طاعتك أوأنبذ وصيتك قد خالفتك فى صغرى فشقيت طول عمرى أنا ياوالدى طوع أمرك فارض علىَّ من فضلك أبقاك الله سعيدا وأولاك عمرا مديدا انى بكيت حيث تأثرت مما شاهدت وكابدت فلاتغضب فليس لى سواك فارحمنى وأذقنى حلاوة رضاك

فقال له ياولدى

خفف همومك فالحياة غرور ورحى المنون على الانام تدور
والمرء فى دار الفناء مكلف لا قادر فيها ولا معذور

ياولدى الدنيا لايدوم شئ من نعيمها فلاتعجب بجمالها الدنياهى قطار سريع لايملكها رفيع ولا وضيع الايام متى مضت لاتعود فلاتكن فيها بكنود وحسن أعمالك واغتنم بالخير أوقاتك ياولدى

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه فلا يضيع جميل أينما زرعا
ان الجميل وان طال الزمان به فليس يحصده إلا الذى زرعا

ياولدى قد نصحتك كما نصحنى أبى فأرجو لك العز الأبدى انى كنت لاأصغى ولاأعى حتى ان الدهر أدبنى ولم يسمع جزعى ولافزعى

ياولدى اعلم بأننى أطعت نفسى فأهلكتنى وفى لهيب الجمر أحرقتنى ولولا اغاثتى من فضل ربى لكنت فى أشد ما يكون من العطب فأنا ياولدى أريد أن لاتكون ممن سقمت ضمائرهم ومرضت أهواؤهم والسلام

***

ثم أوصيك خيرا بأمك وأخيك وآلك وذويك وان أخالك شرع فى الزواج ليستدل لها المنهاج فأرجو أن تزوج ولدك السيد أحمد منه بزوجة متواضعه كى يثوب الى الرشد ويسلك طريق الزهد ويعيش عيش الرغد ويحيا حياة بلانكد ويطيب له الهناء ويحوز أوقات الصفاء

فبكى عبد اللطيف وترقرقت عيناه بالدموع وهملت وتماطرت عبراته واستبقت وقال ياوالدى أرالك توصينى وصية تجلب لى النكد تجلب لى الشر والكمد توصينى وصية تدفعنى الى الهلاك وتزجنى الى بحار الذل والارتباك

ياوالدى ألاتعلم ان النساء سلم البلاء ألاتعلم انهن كنز الشقاء ألاتعلم انهن أصل الفضيحة والعار ألاتعلم انهن مفتاح الخراب والدمار ألاتعلم ان طاعتهن تردى العقلاء وتذل الأعزاء الأمراء ألسن هن منبت المصائب والدواهى

ألسن هنّ مصدر الفساد والملاهي ألسن هنّ مأوى الشياطين ألسن هنّ منشأ العدول عن الحق والدّين أنسيت ما حلّ بي من المصائب وما كابدته من الأهوال والنوائب ألسن هنّ أصل كل داء ألسن هنّ السبب فيما شاهدته من العناء حقا ان النساء رزايا الأزمان وهلاك الأبدان لكل انسان ان النساء مفتاح باب الضلال ولا يحبهنّ إلا النذل الأنذال ان النساء آفة الرّجال محبهنّ مكبل بالأغلال ومحارب بسيف النبال يا والدي أحب أن تعدل عن رأيك ولو ان ذلك هو من شأنك وأحب أن لا توصيني بتلك الوصية وأن لا تهديني بها فانها أشرّ رزية يا والدي أنا ابنك فالى أراك تغضب عليّ ولا ترحمني بنظرة رضاك الىّ يا والدي ما فعلت شيئا يستحق هذا الغضب يا والدي خالفتك فكابدت المشقات والتعب يا والدي ان لم تغفر لي ذنوبي وتسترعيوبي فسألقى بنفسي في مصارع الأموات أولى من مشاهدة تلك الصعوبات

ان كنت لا ترحم المسكين ان عدما ولا الفقير اذا يشكو لك العدما
فكيف ترجو من الرحمن رحمته وانما يرحم الرحمن من رحما

فردّ عليه والده باللين وقال له أيها النجل الأمين انى وقفت على فحوى أقوالك واقتفيت أثر أعمالك فلنسلم لك هرآك ولكن خالقنا النساء لعمار الدنيا كما شاء ولاك النساء يا ولدي خير متاع هذه الدار وأنهم بهن لحفظ الآثار فالزوجة كنز راحتك ودوام سعادتك الزوجة صندوق الذخائر ولولاها لارتكبت أفظع الكبائر الزوجة حصن عورتك وأسيرة خدمتك فأرجو أن لا يستحوذ عليك الشيطان وتمادى في العدوان وتمضي في عمايتك وتجمح في غوايتك ألا تعلم بان الزواج للرّجال أكبر سعادة ألا تعلم بأنه أكبر مقوّ على العبادة ألا تعلم بأنه حافظ القلب عن الوسواس والافكار ألا تعلم بأنه حجاب الاوزار ألا تعلم بأنه عدوّ الأشرار وصديق الأخيار كيف تبغض الزواج وقد قال النبي الكريم عليه أزكى التحية والتسليم حبب الىّ من

دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة وقال أيضا من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر فأرجو يا ولدي أن لاتقذف بنفسك الى الهلاك باتباع هواك

انما الدنيا ثلاث هي للمرء متاع
صحة يخطر فيها وأمان واجتماع

فقام السيد شفيق وحدث شقيقه فقال أيها السيد المفضال اعلم بأن الزواج هو مفتاح السرور والابتهاج هو أقوى قائد للاعتدال هو أقرب طريق موصل الى صلاح الحال هو المرشد للخير وحسن العواقب هو أكبر ساعد لجلب المكاسب كيف لا وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام والداعي الى الهداية والكمال انكحوا النساء فانهن يأتينكم بالمال فالزواج ياأخي فوائده جمة ومنافعه عامة الزواج ياأخي سبب لطهارة القلوب وسبب لاستئصال العيوب الزواج ياأخي سبب للاقلاع عن المعاصي والذنوب ومفتاح الهداية والرحمة لمن يتوب كيف يدبر منزلك وتكثر عشيرتك وكيف تصلح حالتك وتدوم مسرتك وكيف يحفظ مسكنك ويطيب مأكلك وكيف يحصن فرجك ويغض بصرك لاأدري كيف تصبر على الهلاك بتغلب الشيطان على هواك وكيف تطيع الشيطان وتغضب الرحمن وكيف تكابد الأهوال وتسوق بنفسك الى الضلال ياأخي استفق استفق من غشيتك وتنبه تنبه من غفلتك وأقلع عن جهلك وثب الى رشدك هداك الله الى مايحبه ويرضاه

***

فرد عليه السيد أحمد وقال أيها السيد الفاضل والملاذ الكامل أنا أرى أن لانتعجل في هذا الأمر ولانخوض في هذا الغمر بل نبحث أولا فيما تؤول اليه العاقبة وبعدها كل يبدي رغائبه لانه من لم ينظر في العواقب ليس له في الدهر صاحب أنا الرجل العازب وللزواج غير طالب الآن منعم البال سعيد

الآمال ليس لدى آنجال ولاحمل من الأحمال فريد ليس ورائى مايشغل فكرى ولامايضيق به صدرى ولامايحط من شرفى وقدرى ولامايؤدّى الى كدرى وليس ورائى أيضا مايذيع سرّى ويكشف ستري ولامايقلق براحتى ويضر بصحتى ولامايسوء ناظرى ويشوّش خاطرى ولامايخيب فؤادى ويخالف مرادى ليس لى مايصيرنى أسيرا ويذيقنى كأسا مريرا ليس لى مايجعلنى على أبواب الطاعة خفيرا وأكون بين اليدين حقيرا صغيرا ليس لى عدوّ يرافقنى فى السعة ويتركنى عند الفاقة والضعة ليس ورائى من يغير بهجتى ويقطف زهرتى ليس امامى من يظلم ضيائى ويذهب بهائى ليس لدى مايصفر إنائى ويقرع فنائى ولامايفرغ وعائى ويفتت احشائى أيها السيد اعلم بأن النساء بيت المتاعب ومأوى العقارب يلدن الأعداء ويورثن الشقاء والعداء لايحفظن المعروف ولايحافظن على الزوج الألوف الرؤف النساء لايحفظن المودة الى أقل مدة النساء كافرات النعمة خاليات العفة عديمات الذمّة قليلات الرحمة النساء يشق القيام بحقوقهن وان قضى بها فليست وفق أغراضهن النساء أسيرها لايفك دون كل أسير النساء عزيزها حقير وحقيرها أمير النساء صديقها فاجر وعدوّها الشريف الطاهر النساء النساء بيت الدهاء والبلاء

لاتركنن الى الزواج ان العذاب به وبيل
فلرب فرحة ليلة قد أعقبت حزنا طويل

فقال له السيد شفيق بكلامه العذب الرقيق أيها السيد العاقل والأستاذ الكامل تكلمت فأسهبت وأطلت فأكثرت فأود أن تقرن بالصواب تدبيرك وتبرم بالسداد أمورك

لاأعلم كيف تذم النساء وهى شفاء ودواء من كل داء يا ابن أخى الغرض من الزواج هو العمران الغرض منه هو التحصن عن الشيطان الغرض

هو تحصيل الولد لبقاء جنس الانسان الغرض هو كسر التوقان الغرض هو المودّة للمساعدة عند الشدّة الغرض هو زيادة القرابة الغرض هو المؤانسة والمجالسة وعدم الكآبة الغرض هو مجاهدة النفس ورياضتها وترويحها وكسر شهوتها الغرض هو التبرك بدعاء الولد الصالح لنهو ما فيه من المصالح فاذا مات وهو طفل فينفعه بشفاعته ويرحمه من شقاوته الغرض هو سعادة الحياه ونوال العز ورؤياه فياولدى عاقبة المتزوج الهداية والاحسان وعاقبة العازب الشقاوة والحرمان

أشراركم عزّابكم جاء الخبر وأراذل الاموات عزّاب البشر

فرد أحمد وقال ياعمى المفضال قد أهديتنا الى اعتدال الطريق وأرشدتنا الى ما فيه الخير والتوفيق فأمدك الله عمرا وأبقاك ذخرا حقيقة ان أنفسنا أبية وأنوفنا حمية وقلوبنا قاسية وأيدينا جانية حقيقة إنا لخطاؤن وغافلون وساهون حقيقة الزواج مفتاح باب البركه فياويل من فقده أو تركه الزواج مفتاح الخيرات يكثر الحسنات ويقل السيئات النفس خبيثة ومأواها الشيطان فاذا قضيت شهوانها بالزواج نهجت طريق الاحسان الزواج كمال السعادة والعز والسيادة الزواج اعانة للضعيف وستر للشريف الزواج هداية ونور ورحمة واعانة لقضاء الامور الزواج باب الراحة واليسر والرخاء والاشفاق والرأفة ونوال الرجاء انى أوافقك ياعمى على ماعزمت ففوّضت أمرى الى الله وتوكلت قد صار الزواج عندى أجلّ الاشياء فليتنى عجلت به أولى من طول الشقاء قرّب الله أيام الافراح أيام السرور والارتياح وأزال عنا الهموم والاتراح ومتعنا بالصفو والانشراح انه كريم فتاح يفتح لنا أبواب النجاح وسبل الفلاح آمين

فقال السيد عبد اللطيف لابنه ناصحا اليه ومشفقا عليه اذا تزوجت فاصبر على حمل الاحمال الثقال وعلى ما تذوقه من كؤس الندم والوبال فلا تجزع اذا

شاهدت مايغضبك ولاتفزع مما يسيئك ويتعبك واكتم مايحل بك من المصائب وما تجرعه من مر النوائب وأرجو أن تحفظ مني ثمان خصال وتعمل بها فتعد من سادة الرجال وتحسب أيضا من الصالحين وأهل الكمال المتقين الافاضل الابطال وهي - الاولى اذا رأيت شيأ من شهوات البطن وشرهها ودناءتها وخبث أفعالها فاصبر ولاتكن هلوعا جزوعا فتكون شريفا قنوعا الثانية اذا رأيت شيأ من شهوات الفرج أو الشبق فلاتضجر من حصول كدر أو قلق تكن عفوفا وبعلا ألوفا الثالثة اذا شاهدت ارتكاب المعاصي فلا تجزع واذا صب عليك العذاب فلاتفزع تكن مطيعا لربك صبورا محبوبا عند الله مشكورا الرابعة اذا سمعت أو بلغ عنك مايغضبك فلاتحمق ولاتسأم ولاتحنق تكن حليما وتعش سليما الخامسة أن تكون عند النوائب واسع الصدر فلا يلحقك شدة الضجر أو الحزن والقهر فتنال بذلك جميل الثناء وعظيم الاجر السادسة اذا كان لك سر فاضمره واحفظه واكتمه ولاتتلفظه تكن سيدا فاضلا عزيزا كاملا السابعة اذا لم تجد غير فضول المعيشة فاحمد الله ولاتبطر واقنع بها فانه هو الزهد الأوفر الثامنة انه عند توقع الامور فلا تستعمل الطيش والنفور بل استعمل التؤدة ورزانة الحلم فتستثمر الخيرات وتجني الحسنات والمبرات وبذلك تحسن عاقبتك وتصلح خاتمتك والله يوفقك لما يرضيه ويبلغك كل ماتبتغيه واني ياولدي أرجو أن تتأنى في جميع أعمالك وتهتم فيما فيه صلاح حالك وأرجو أن تداوم على البر والاحسان مع التكلم بالرفق وحلاوة اللسان فأنه اذا مات ابن آدم وانتهى أجله انقطع عمله وانصرم أمله إلا من ثلاث أشياء ترحمه وتنجيه من العذاب والبلاء وهي علم ينتفع به العباد فيدعون له ويرحمه الله يوم المعاد أو صدقة جارية لمستحقها ذوي البطون الخالية والاجساد العارية أو ولد صالح يدعو له بالمغفرة فيرحمه الله ببركة دعواته يوم الآخرة وأرجو الله لك ياولدي أن يرزقك الفلاح ويهديك

الى سبل الرشاد والصلاح آمين

***

فقام السيد سليمان واعظا أولاده مظهرا لهم عطفه ووداده قائلا يابني قد آن الأوان واليوم قد حان فأرجو أن تعقدوا الخناصر ولاتفرقوا فالدهر كاسر

وأرجو منك ياعبد اللطيف أن لاتفعل شيأ حسب هواك بل استشر فيما تفعل فان الاستبداد بالرأى هوان وهلاك

اذا ما خلوت الدهر يوما فلاتقل ... خلوت ولكن قل علىّ رقيب

ولا تحسبنّ الله يغفل ساعة ... ولا ان ما تخفيه عنه يغيب

وأرجو ياعبد اللطيف ان كنت فى يسر فاشكر ربك كثيرا وتحدث بنعمه فأنه يزيدك خيرا غزيرا وان كنت فى عسر فاحمد الله واصبر ولاتشكه الى أحد ولاتضجر وحافظ واحرص على ما معك كى ينفعك عن السؤال وينفعك

لو كنت فى علم موسى ... وزهد عيسى بن مريم

ولم يكن لك مال ... لم تسو فى الناس درهم

وأرجو الله تعالى لكم أن يبلغكم أسمى الأمانى والعز والرفعة ومزيد التهانى أسأله تعالى أن يقويكم على طاعته من فضله ورحمته ويبلغكم مافى الآمال ويحفظكم بدوام المجد والاقبال انه قد حلّ بى الآن بعض الآلام والأوجاع والأسقام فاذا مت فلاتفرقوا وكونوا عصبة واحدة ولاتشتتوا واعتقدوا بأن ماتقدمونه اليوم تلقونه فى الغد فابذلوا الجهد وشمروا عن ساعد الجد وسيروا فى الطريق القويم واياكم ومخالفتى فتشقون وتصلون نار الجحيم وأرجو اذا فارقت الحياه ولاقيت الله أن لاتنوحوا ولاتندبوا ولاتبكوا ولا تحزنوا لانه لايخفاكم ان أيام العمر محسوبة وأقوال المرء وأفعاله محصورة

مكتوبة فكأس الموت لابد من ذوقه ونعيم الدنيا حتما من مفارقته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره

أما الآن ذقت كل لذيذ فلم أجد ألذ من الطاعة والامتثال وكأس الصبر فلم أجد أمرّ من الاضمحلال بعد الاقبال فيا بني اتقوا الله سرًّا وعلانية ينجيكم من آفات الدنيا الفانية والله يتكفل بكم ويهديكم صراطا مستقيما ويحفظكم ويجمعنا سويًّا انه كان عليما وفي هذا القدر كفاية إذ لكل مقام آخر ونهاية وأنتم ممن لا يحتاجون الى تعبير ولا ايضاح وتفسير وقد تكفيكم الاشارة وتغنى عن التوضيح بالقول والعبارة

انما آخر ما أوصيكم به هو أن تتبعوا قول الرسول عليه الصلاة والسلام وأزكى التحية والاكرام (اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك)

فيا بني الخير والشر امامكم والجنة والنار قدامكم كل يختار ما شاء من السعادة أو الشقاء والله يصلح لكم أعمالكم ويتجاوز عن سيئاتكم ويحفظكم من جميع الآفات الى يوم المهات آمين

ومالبث بضع أيام حتى أتاه هادم اللذات ومفرق الجماعات وخارب القصور ومعمر القبور فقبض روحه الطاهرة وأسكنه دار الآخرة وبعد ذلك عمل له المأتم اللائق وبعد انقضاضه اتبع أولاده خطة أبيهم وساروا وفق أغراضه فطاب الحال وبلغوا منتهى الآمال الى أن انقضت الآجال فسبحان الباقي بلا زوال

﴿ الخاتمة ﴾

نحمد الله على توفيقنا لما قدمناه ونسأله أن ينفع بما تو خيناه كل ذي بصر وبصيرة أمعن النظر في حقائق هذه المجالة اليسيرة التي جمعت محاسن الصفات الأدبية ومكارم الأخلاق المرضية وأنواع العبر في شؤون التربية

فلينظر القارئ تصاريف الدهر بنعمه ونقمه في هذه الأسرة التي هي عماد كتابنا الذي وضعناه باخلاص النيه لالشهرة دنيوية ولالمنفعة مادية بل لينال المعتبر بحوادثه وحكمه ومواعظه كل أمنيه وليهتدي كل مربي الى الصراط المستقيم وليستنير المربون بالحكمة الحسنة التي هي سر هذا الكتاب وكمال صفات أولي الألباب نسأل الله تعالى حسن الختام وأن يصلي ويسلم على سيدنا محمد خير الأنام وعلى آله وصحبه السادة الأعلام آمين

وقد اطلع على هذا الكتاب حضرات أئمة العلم وشموس المعارف وميادين الفضل وينابيع الأدب ومعادن المجد النبغاء البلغاء والفصحاء النجباء مصادر الكمال ومفاتيح الهداية وعيون المروءة وألسنة الفصاحة ومصابيح الأنام وأبواب الحكمة السادة الأفاضل المتصفون بأفضل الفضائل حضرات الشيخ عبد المجيد الطنطاوي والشيخ أحمد الشرقاوي والشيخ سيد الالفي والشيخ سيد برجل والشيخ سليم الزيني ومحمود افندي يوسف والشيخ محمد سعد الباز وكتبوا الينا تقاريظ جديرة بأن تحلى بها طروس هذا الكتاب وهي من آثارهم المخلدة فجزاهم الله عن الأدب وبنيه خير الجزاء آمين

المؤلف

أمين محمد البطاوي

تقريظ

سيدي الاستاذ حضرة الشيخ عبد المجيد الطنطاوي خليفة السادة الشاذلية ومدرس اللغة العربية بالمدارس الحرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أما بعد فان أجل ما ينطق به اليراع وتشنف به الاسماع وأبهى ما راع به

الطبع السليم وهدى به الى صراط مستقيم فن الادب الذى هو مرآة الافئدة وجلاء الافكار ورسول السرور وخلاصة العلوم بل هو أحسن صناعة وأكسب بضاعة كيف لا وقد اختاره الله لرسوله وجعله شعاره فى بلوغ مأموله حتى قال (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) وناهيك بهذا شرفا ولقد تفاوتت فيه اراء مصاقع البراعة وجدّ كل فى تحصيله واستعمل مداده وبراعه فهو ميدان تسابقت فيه الفحول وكل يدعى فيه الى ليلى الوصول

وكل يدعى وصلا لليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

غير انى لما اطلعت على هذا السفر الجليل علمت ان صاحبه فاز فى هذا الباب القدح المعلى ولا غرو فانه نادرة الادباء وعين أعيان الفصحاء مجدّد مجدهم بعد ما اندثر ومذكرنا بأخبار الاول حضرة أمين افندى محمد الذى له فى كل مكرمة مجد مخلد ولما بدا طبعه قلت

أنجوم أزهار تبدّى نورها أم ذى بدور قد تكامل نورها
لا بل عروس بلاغة و براعة ستعيد مجد لغاتنا وتجيرها
هى آية السحر الحلال وسر أسرار البيان قليلها وكثيرها
هذى تصاريف الدهور تكاملت رقت معانيها وفاح عبيرها
جادت به الايام وهى بخيلة وصبا الاديب لها فعمّ ظهورها
كنا نهيم بذكر أسفار الألى سبقوا ونشهد انها لا غيرها
لما قرأت صحائفا قد خطها قلم تحل به الامور عسيرها
ورأيت نور العلم يمم نحوها ولمع الفؤاد لما حوته سطورها
لا تعجبوا ان كان ناسج بردها نفس علت ما فى الانام نظيرها
هو ذلك الخل الامين ومن له الرّ أى الاصيل وفى الكرام كبيرها
يارب أكثر مثله فى أمّة قلّ المعين لها وقل نصيرها
وانفع به الاوطان وارفع شأنه بالهاشمى خير الورى و بشيرها

تقريظ

(سيدى الاستاذ حضرة الشيخ أحمد الشرقاوى أحد علماء الجامع الأحمدى)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله مدبر الامور ومبدع الاشياء لا على مثال سبق بيده تصاريف الدهور حكمة بالغة يدحض بها الباطل ويحق الحق والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح العرب وعلى آله وصحبه الذين انتهجوا منهج الادب ﴿ وبعد ﴾ فقد اطلعت على كتاب تصاريف الدهور لحضرة الفاضل الأديب واللوذعى الاريب الأخ فى الله من هو لكل خير حاوى سيدى أمين افندى البطاوى فاذا هو كتاب تحتاج اليه العامه ولا تستغنى عنه الخاصه للصغير خير مؤدب وللكبير أحسن مهذب لمثل ذلك فليعمل العاملون وفى ميدان تهذيب النفوس فليتنافس المتنافسون كتاب دقت معانيه ورقت مبانيه اذا تدبره الفطن النجيب شهد للمؤلف بطول الباع وسعة الاطلاع واذا تأمله الحاذق اللبيب استخرج من المواعظ الغوالى ومن الحكم ما يخجل در اللآلى شهدت مقتضيات أحواله بحسن ذوق مؤلفه فى فن البلاغة ونطقت جزالة تراكيبه مفصحة عن رسوخ قدم منشئه فى فن البراعة جمع فيه من البديع ما لذ واستطاب وأتى من النوادر والامثال بالعجب العجاب فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب جلت قدرته يؤتى من أحب الحكمة وفصل الخطاب

تقريظ

(حضرة سيدى الاستاذ الشيخ سيد الالفى المدرس بالمدارس الحرة بطنطا)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى جعل البلاغة ميزان الفضائل وخص من شاء منها بأعذب المناهل والصلاة والسلام على أفصح الخلق الذى جاءنا بالبرهان الحق وعلى

آله وصحبه أنوار الهداية الحائزين من صفات الكمال أبلغ آية ﴿وبعد﴾ فانى تصفحت هذا الكتاب الموسوم بتصاريف الدهور فوجدته فى المبنى يفوق قلائد الدر فى نحر الحور وفى المعنى أجزل من قطرات البحور قد سجعت حمائم ورقه على أفنان الادب بكل لفظ رقيق ومفهوم دقيق كفيل بنيل الارب لمن وفق لاقتنائه ودراسته ليجد حلاوة ثمرته وتجلى التربية الصحيحة بأجلى مظاهرها ويقف مطالعه على باطنها وظاهرها وقد دل جليل عنوانه على فصيح بيانه وهو حرى أن يدرسه الطالبون كى يعرفوا ما تجنيه يد الفتون وليداووا شذوذهم وعقوقهم بسبره وليقتفوا شريف أثره وهو حقيق أن يقتبس من فصوله وأنوار مواعظه المربون بيد الحكمة والموعظة الحسنة فان هذا الكتاب فيه من كل فاكهة أدبية ما تتفق على استحسانه الاذواق خصوصا إذ كان تأليف مثال الصلاح والاستقامه الكاشف بتصريفه عن الادب لثامه المخلص فى الافادة المنعوت بأشرف عادة حضرة الاديب أمين افندى محمد الذى لم يترك للأدب عتابا ففتح من أوصد أبوابه فى التربية بابا بابا ليعتبر بمواقعه أولو الالباب وفقنا الله واياه لنصرة العلم والآداب آمين

تقريظ

(سيدى الاستاذ حضرة الشيخ سيد برجل مدرس اللغة العربية)

(بالمدارس الحرة بطنطا)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

حمدا لمن جعل فن الأدب ميدان تسابق لأولى البيان وصلاة وسلاما على سيدنا محمد الذى حاز قصب سبقه بأجل برهان وأبدع تبيان وعلى آله وصحبه الذين ذللوا مصاعبه وقوموا مناهجه ﴿أما بعد﴾ فان أعظم ما يتنافس فيه المتنافسون وأسمى ما يفتخر به المفتخرون وأنفع ما يرغب فيه الراغبون علم

الأدب الذى هو حلية العاطل وتاج الفاضل وبهجة الأريب وأقصى أمانى الأديب وأن أجل من نظم قلائد دره البديع ورصع شتات فضائله أجل ترصيع اللوذعى الفاضل والأديب الكامل من هو لكل مجد غاوى المحترم أمين افندى البطاوى فقد أهدى لأرباب الادب سفرا أدبه أرق من دمع السحاب وأصفى من ماء الحسن فى رياض الشباب وسمه بتصاريف الدهور لانه تصرف فيه أحسن تصرف مشكور ضمنه من بضائع الادب ما راق صنعا وحسدته لرقة نسيجه برود صنعا ولما هزتنى أريحية معانيه وأدهشتنى رقة مبانيه قلت على ما بى من العجز والقصور عن مدح مؤلفه الشاب المهذب الغيور

هل الروضة الغناء يانعة الزهر ... أم الفلك الحالى بأنجمه الزهر
أم الحور قد أسفرن عن غر أوجه ... وألقين من فضل البراقع والخمر
تطوف من الخمر الحلال بأكؤس ... ومن خمر ريق طاب من رشفه سكرى
نعم ذا تصاريف الدهور بدا لنا ... به جل الأمثال بين الورى تسرى
كتاب حوى من كل معنى غريبة ... أحاطت بجل الفضل من عالم الذر
لأفصح من أهدى الينا طرائفا ... أمين العلا من فضله جل عن حصر
ومن قد حوى من كل مجد لبابه ... ونال مزايا الفضل من حكم غر
وحاز من الآداب أسمى فضائل ... وفاق على من فاق فى سالف العصر
بقيت بقاء الدهر شهما مهذبا ... ودامت لك الآداب مسدية الشكر
ودمت لأشتات الفضائل جامعا ... وغر السجايا طوع نهيك والأمر

تقريظ

(حضرة الاستاذ العارف بالله الشيخ سليم الزينى بطنطا)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن انفرد وحده بتدبير الأمور وعلى وفق مشيئته تكون تصاريف

الدهور فيض من شاء لبث المواعظ والحكم فنثر لآلئ المعارف للأمم وصلاة وسلاما يهديان لامام النبغاء وسيد الفصحاء والبلغاء وآله وصحبه السادة النجباء مادامت الارض والسماء ﴿ وبعد ﴾ فقد سرحت نظري في هذا الكتاب فوجدته العذب الشهي المستطاب ألا وهو هذا السفر الوحيد المشهور المسمى بتصاريف الدهور جمع مالا يحصى من النصائح العاليه والمعاني الجليلة والحكم الراقيه كيف لا وهو من بنات فكر عيون الفاضل الأمجد حضرة البارع أمين افندي محمد فجزاه الله عن المروءة أحسن الجزاء وأضاء لبه بما لديه من خزائن الصفاء وقد عن لي أن أقول فيه كلاما ليكون لحضرته تحية وسلاما فتوسلت بالسيد الكامل وقلت مقرظا من الكامل

ان رمت تقضية الحياة منعما ... في رغد عيش مع كمال حبور
فاقرأ تصاريف الدهور فانه ... صيغت لنا ألفاظه من نور
ياحسنه قد زينت ألفاظه ... بلآلئ أو جوهر منثور
جمع الفصاحة والبلاغة حجمه ... وبدا لكل مطالع بسرور
فاقت معانيه على أمثاله ... وغدا عقودا في نحور الحور
فتح الاله به على سامي النهى ... نجل البطاوي أميننا المشهور
وصلاة ربي والسلام على النبي ... ماصاحت الورقاء في الديجور

﴿ تقريظ ﴾

(حضرة الاديب محمود افندي يوسف الطالب بالمهندسخانه)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(كلمة في التأليف)

لقد بدأت روح الادب تدب في النفوس وترتكز في الافئدة وأخذت

في النشوء والارتقاء عند النشء حتى أصبح كل شاب بطبيعته ميالا الى وضع ما يقع تحت حسه من الحوادث في أسلوب عربي فصيح ليفيد بها أبناء جنسه وليعيد الى لغته مجدها الاول ونضارة عهدها وباذخ شرفها فكان من بين الشبان الأذكياء الذين أخذتهم حميتهم نحو الاصلاح ودفعتهم غيرتهم الى تهذيب النفوس من ادران المفاسد وادناس الرذيلة واضع هذا الكتاب أكثر الله من أمثاله العاملين الذين لا يخشون في اظهار كلماتهم ونشر أفكارهم اعتراض معترض ولا لومة لائم ولعمري ان مثل هذا المؤلف لحري بأن يكتب بسواد المسك على بياض الكافور ويعلق بخيوط من نور على نحور الحور لعلو كعب صاحبه في الادب ولنبل غرضه في طبع سفره فانه ما أراد من تدوين كتابه هذا إلا تعميم الفائدة ونشر المبادئ القويمة حيث أوقف شطرا من ثمين وقته في استتباع بعض الحوادث التي لها علاقة بموضوعه الشريف وأخذ يسطرها بعنان رائقه وألفاظ رائعه جادت بها قريحته الوقادة وذكاؤه المفرط فأخرج لنا آية من آيات بلاغته وثمرة من رياض فكره طاب أصلها ونما في السماء فرعها لأنها غرست في تربة حسن معدنها وتعهدها المؤلف بحذاقته ورصافة رأيه فسقاها من مناهل العلم التي شرب منها وخلع عليها رداء قشيبا من مكارم أخلاقه التي ربي عليها فأصبحت كما نراها رقية يستعاذ بها من غرور المرء وجهله ودواء ناجعا لمرض القلوب وعظة لمن ألقى سمعه لحكمها واتخذ لاذنه قرطا من درها وبذلك نحث عشاق الفضيلة وغواة الادب على اقتنائها وحفظ معانيها تشجيعا للمؤلف على السير في دربه علنا نصل بذلك الى ضالتنا المنشوده وغايتنا المقصوده والسلام

تقريظ

(حضرة سيدى الاستاذ خليفة السادة الشاذلية الشيخ محمد سعد الباز)
(ومدرس اللغة العربية بالمدارس الحرة ببطنطا)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ان أحسن ماعطر بنشر عبيره فاه وأرق وأعذب ماتلفظ به متلفظ وفاه حمد من أمطر علينا بعظيم فضله سحائب الايادى وشكر من خضعت لعظيم هيبته الجبابرة وبسطت له فى جنح الظلام الأيادى والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله أهل الفخامة والكرامات صلاة محب وسلام مشوق من وجده الكرى مات ﴿ وبعد ﴾ فطالما تاقت أرباب النفوس العاليه والمدارك السامية الى كتاب يكون يتيمة عقده فى باب اللطائف والضالة المنشودة فى سوق العلوم والمعارف وكان لها الى ذلك شوق يفوق شوق الظمآن فى الهجيرة الى الزلال بل شوق المريض الى الشفاء وقد أنهكه الداء العضال فأبى الله إلا أن يزيل ظمأها ويعجل شفاءها اذ أتاح لها كتابا أصبح وأتم الحق للآداب روضة يانعة ولشوارد العلوم والمعارف مدينة جامعة مانعة كتاب قيمته زهيدة لكن قدره عال وفضله مشهور ولما فيه من بديع العجائب لقبه مؤلفه المفضال بتصاريف الدهور فأنعم به من سفر جاء مبرهنا على رفعة شأن مؤلفه ومترجما عن عظيم آدابه ولطائف معارفه لقد غاص صاحبه بحار الآداب فأخرج منها نفائس الدرر وجاب فيافى الاخبار فرجع ويده بيضاء بما أتحفنا به من عجائب الغرر فلله بنات أفكار جاد بها من صار للعلوم أمينا متعه الله فى الدارين بما يحبه ويرضى الله عبدا قال آمينا ولما بدت شمس كماله قلت مترنما هاتفا بجماله

اقرأ تصاريف الدهور فانه سفر حوى تحفا من الآداب

هو روضة قد أينعت أزهارها ... وحوت أعز مطالب الطلاب
انظر تجد ألفاظه قد أفرغت ... في قالب من حكمة وصواب
وكذا معانيه تجدها أسكرت ... من غير خمار ولا أكواب
بل جامها لفظ رقيق جامع ... تحفا نأت عن شكل كل مصاب
جمع الفوائد باعتدال لائق ... من غير إيجاز ولا إسهاب
لما حوت تلك المعاني رقة ... خلبت بذلك مجامع الالباب
حق لهذا السفر أن يرقى العلا ... ويجر ذيل الفخر والاعجاب
إذ صاغه فكر الهمام الأمجد ... بيت المعارف بهجة الاحباب
هذا أمين العلم هذا سيد ... هذا البطاوي زهرة الاصحاب
لازال يرقى في المعارف دائما ... ويفوق اخدانا مع الأتراب
ثم الصلاة على النبي وآله ... الهاشمي المصطفى الأوّاب

بمشيئة الله تعالى سيتم كتاب الضالة المنشودة للمؤلف وفقنا الله لما يحبه ويرضاه ويرحمنا بحق من اختاره واصطفاه رحمة وهدى للعالمين آمين

يوجد بعض غلطات مطبعية حصلت سهوا ويتداركها المطالع بفكره السامي فسبحان من تفرّد بالكمال

obeikandl.com